المملكة العربية السعودية
وزارة التعليـــم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمـــادة البحث العلمـــي

رؤيـــة VISION 2030
المملكة العربية السعودية
KINGDOM OF SAUDI ARABIA

مجلة العلوم الشرعية

مجلة علمية دوريّة محكّمة

العدد الحادي والثمانون شوال 1447هـ أبريل 2026م
الجزء الأول

المسائل المتعلقة بآية الكنز: عرض ودراسة.
د. نوّاف بن غدير بن نويران الشَّمَّري

الشمس والقمر في القرآن الكريم: دراسة موضوعية.
د. الوليد بن محمد بن صالح الخُضَيري

رسالة في تفسير قوله تعالى: {أم حسب الذين اجترحوا السيئات} (الجاثية:21) للشَّهاب الخفاجي (ت: 1069هـ) دراسة وتحقيقاً.
د. رياض بن محمد بن عبد الله الغامدي

أثر التوجّه العقَدي على آراء الجاوي في تقريره لصفات الله من خلال تفسيره: مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد.
د. أسماء بنت سعد الرشود

منهج النبي ﷺ في الدعوة بالقرآن الكريم.
د. محمد بن فهد عبيد الحربي

www.imamu.edu.sa
islamicjournal@imamu.edu.sa

بسم الله الرحمن الرحيم

المشرف العام:

الأستاذ الدكتور / أحمد بن سالم العامري

معالي رئيس الجامعة

نائب المشرف العام:

الدكتور / نايف بن محمد العتيبي

وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

رئيس التحرير:

الأستاذ الدكتور / محمد بن حسن آل الشيخ

الأستاذ في قسم الفقه بكلية الشريعة

مدير التحرير:

الدكتور / محمد بن عبد الله المديميغ

الأستاذ المساعد في قسم الفقه بكلية الشريعة

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. عادل بن مبارك المطيرات

الأستاذ في قسم الفقه المقارن والسياسة الشرعية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة الكويت

أ. د. علي ساموه

أستاذ الحديث – كلية العلوم الإسلامية

جامعة الأمير سونكلا – فطاني- تايلاند

أ. د. بكر زكي عوض

الأستاذ في قسم الدعوة – جامعة الأزهر- القاهرة

أ. د. عبد العزيز بن ناصر التميمي

الأستاذ في قسم الفقه المقارن بالمعهد العالي للقضاء

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ. د. حسين عبد العال حسين محمد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن - جامعة الأزهر- أسيوط

د. عبد الحميد عشاق

الأستاذ في قسم الفقه – جامعة القرويين - المغرب

أ. د. أحمد بن عبد العزيز السيد

أستاذ أصول الفقه – جامعة البحرين

أ. د. كنعان موستيش

الأستاذ في كلية الدراسات الإسلامية– جامعة سراييفو

د. حسام بن محمد الرثيع

أمين تحرير مجلة العلوم الشرعية- عمادة البحث العلمي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

التعريف بالمجلة:

مجلة علمية فصلية محكّمة متخصصة، تصدر عن عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، أربع مرات في السنة، وتعنى بنشر الدراسات والبحوث الأصيلة والرصينة التي تتوافر فيها مقومات البحث العلمي من حيث أصالة الفكر وجدَّته، ووضوح المنهجية وسلامتها، ودقة التوثيق والإحالات، المتعلقة بمجالات العلوم الشرعية من عقيدة وتفسير وحديث وفقه وأصول فقه وقواعد فقهية ودعوة وثقافة إسلامية وسياسة شرعية وما إلى ذلك مما يندرج تحت العلوم الشرعية.

الرؤيـــــــة:

مجلة علمية رائدة تُعنى بنشر النتاج العلمي للباحثين والدارسين في شتى مجالات العلوم الشرعية.

الرســـــــالة:

تسعى المجلة لتصبح مرجعاً علمياً للباحثين والدارسين في العلوم الشرعية، من خلال تحكيم البحوث العلمية ونشرها، ذات الأصالة والتميز والجِدَّة، وفق معايير مهنية عالية متميزة، وتحقيق التواصل العلمي لأعضاء هيئة التدريس والباحثين في علوم الشريعة.

الأهـــــــداف:

تتبنى مجلة العلوم الشرعية هدفاً عاماً هو: نشر البحوث الجيدة والمتميزة، والتي تعمل على إثراء علوم الشريعة والإسهام في النهوض بالبحث في العلوم الشرعية، وتحديداً فإن المجلة تهدف إلى تحقيق ما يلي:

1. الإسهام في إثراء العلوم الشرعية والمكتبة الشرعية من خلال نشر البحوث والدراسات في شتى تخصصات علوم الشريعة.
2. إتاحة الفرصة للدارسين والباحثين والمفكرين في مجالات العلوم الشرعية بنشر نتاجهم العلمي والبحثي.
3. تبادل الإنتاج العلمي والمعرفي على المستوى الإقليمي والعالمي.
4. تسليط الضوء على النتاج العلمي المتميز وإبراز الاتجاهات البحثية الجديدة في مجالات العلوم الشرعية.
5. إدراج المجلة ضمن التصنيفات العالمية للمجلات.

قـــواعد النـــشر:

مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (العلوم الشرعية) دورية علمية محكمة، تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة، وتُعنى بنشر البحوث العلمية وفق الضوابط الآتية :

أولاً : يشترط في البحث ليقبل للنشر في المجلة:

- أن يتسم بالأصالة والابتكار، والجدة العلمية، والمنهجية، والسلامة من الاتجاهات والأفكار المنحرفة.
- أن لا يكون قد سَبَقَ نشرُه، وأن لا يكون مستلاً من بحث أو رسالة أو كتاب، سواء كان ذلك للباحث نفسه، أو لغيره .
- أن لا يقل متوسط درجة تحكيمه عن 80% وأن لا تقل درجة المحكم الواحد عن75% .

أن يتم تعديل الملحوظات الواردة من المحكمين في مدة لا تتجاوز (20) يوماً.

- أن يكون في تخصص المجلة.

ثانياً : يشترط عند تقديم البحث:

- تعبئة نموذج طلب النشر المتضمن لإقرار الباحث بامتلاكه لحقوق الملكية الفكرية للبحث كاملاً، والتزامه بعدم نشر البحث إلا بعد موافقة خطية من هيئة التحرير، أو مضي خمس سنوات على نشره.

ألا تزيد صفحات البحث عن (50) صفحة مقاس (A4) .

- أن يكون بنط المتن (17) Traditional Arabic، والهوامش بنط (13) وأن يكون تباعد المسافات بين الأسطر (مفرد).
- يقدم الباحث نسخاً إلكترونية، مع ملخصين باللغتين العربية والإنجليزية، لا تزيد كلماته عن مائتي كلمة، على أن يتضمن: عنوان البحث، واسم الباحث، والجامعة، والكلية، والقسم العلمي.
- أن تكون المراجع مرومنة.
- أن تكون الآيات القرآنية مكتوبة بخط المصحف النبوي الشريف من مصحف مجمع الملك فهد بالمدينة.
- تقديم البحث يتم عن طريق منصة المجلات العلمية على الرابط (https://imamjournals.org)

ثالثاً: التوثيق:

- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة.
- يُلحَق بآخر البحث فهرس المصادر والمراجع باللغة العربية، ونسخة منها بالأحرف اللاتينية (الرّومنة).
- توضع نماذج من صور المخطوط المحقق في مكانها المناسب.
- ترفق جميع الصور والرسومات المتعلقة بالبحث، على أن تكون واضحة جلية .

رابعاً: عند ورود الأعلام الأجنبية في متن البحث أو الدراسة فإنها تكتب بحروف عربية وتوضع بين قوسين بحروف لاتينية، مع الاكتفاء بذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة .

خامساً: تُحكَّم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين من المحكمين على الأقل.

سادساً: التحكيم في المجلة خاضع للسرية التامة

سابعاً: الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن قناعة الباحث، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

سياسة النشر في مجلة العلوم الشرعية:

1. تَستقبِلُ المجلةُ البحوثَ في التخصُّصات التي تنتمي إليها، على مدار العام، من خلال منصة المجلات العلمية imamjournals.org ما عدا إجازة الصيف.
2. يجبُ على الباحث الإقرارُ بأن العمل العلميَّ المقدَّم أصيلٌ، ولم يتقدم به إلى أي وعاء نشرٍ آخر؛ إذ يُعَدّ تقديم البحث إلى أكثر من وعاء نشر في وقت واحد سلوكاً منافياً لأخلاقيات البحث العلمي.
3. يخضع البحثُ للفحص الأوّلي من خلال لجنةٍ من هيئة التحرير للتأكد من استيفائه للمتطلبات، والتزامه بأخلاقيات البحث العلمي، وأهليته للتحكيم، وقد تَرى اللجنةُ صلاحيته للتحكيم وقد ترى رفضه، دون التزام بإبداء مسوغات لذلك.
4. يُبلَّغ الباحثُ بصلاحية بحثه للتحكيم أو عدم صلاحيته في مدة لا تزيد عن أسبوع غالباً منذ وصول بحثه.
5. يحال البحث لمحكمَيْن اثنين من ذوي الاختصاص العلمي والمهارة البحثية، فإن قبلا البحث أجيز، وإن اختلفا في الحكم؛ يرسل البحث إلى محكم ثالث مرجِّح، أو تَفصِلُ فيه الهيئة بما تراه مناسباً.
6. تحكيم البحوث خاضع للسرية التامة، بعدم الإفصاح عن أسماء الباحثين أو المحكمين.
7. يُطلب من المحكم إبداء رأيه في البحث كتابةً وفق عناصر محددة، منها: وضوح أهداف البحث، مطابقة العنوان للمضمون، استيفاء المادة العلمية، العمق العلمي للبحث، الإضافة العلمية في مجال التخصص، الأمانة العلمية.
8. يلتزم المحكم بالاعتذار عن التحكيم إذا رأى أن البحث لا يناسب تخصصه الدقيق، أو أن وقته لا يتسع للتحكيم.
9. يستغرق تحكيم البحث من تاريخ وروده مدة لا تزيد غالباً عن شهر.
10. يلتزم المحكم بأن تكون ملاحظاته موجهة إلى البحث لا إلى شخصية الباحث، وأن يذكر فيها نقاط قوة البحث ونقاط ضعفه، والملحوظات التفصيلية، وفق نموذج التحكيم المعتمد.
11. تحتفظ هيئة التحرير بأسباب الرفض أحياناً في حال تم رفض البحث.
12. لا يحق لصاحب البحث المرفوض أن يتقدم به مرة أخرى إلى المجلة ولو أَجرَى عليه تعديلات.
13. الأولية في النشر للبحوث وفق تاريخ قبولها في المجلة، ولهيئة التحرير الحق في الاستثناء من ذلك.
14. يحق لهيئة التحرير إجراء تعديلات شكلية على البحث بما يتناسب مع نمط النشر في المجلة.
15. البحوث المنشورة في المجلة تمثل رأي الباحث ولا تمثل رأي الجامعة، ولا هيئة التحرير، ولا يتحملان أي مسؤولية قانونية ترد على هذه البحوث.
16. تؤول كل حقوق النشر للمجلة لمدة خمس سنوات من تاريخ قبول البحث، ولا يجوز للباحث نشر البحث قبل مضي هذه المدة في أيّ منفذِ نشرٍ آخر ورقيّاً أو إلكترونيّاً دون موافقة رئيس هيئة التحرير.
17. تَنشُرُ المجلةُ رقميّاً عبر منصة المجلات العلمية لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
18. تلتزم المجلة باحترام حقوق الملكية الفكرية للباحثين، وبما يمنع الاعتداء على أفكار الآخرين بأي شكل من الأشكال.
19. لهيئة تحرير المجلة الحق في حذف البحث أو جزء منه بعد نشره، إذا وجدت فيه ما يستدعي ذلك.
20. تتيح المجلةُ الوصولَ المجاني لكافة البحوث المقبولة لديها بعد نشرها على منصة المجلات العلمية، مساهمة منها في نشر العلم وتعزيز التواصل البحثي مع المهتمين.

منهج النبي ﷺ في الدعوة بالقرآن الكريم

إعداد:

د. محمد بن فهد عبيد الحربي

الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى

مكة المكرمة- المملكة العربية السعودية

The Prophet's Methodology in Inviting to Islam through the Noble Qur'an

Prepared by:

Dr. Muhammad bin Fahd Al-Harbi

Associate Professor, Department of Da'wah and Islamic Culture, College of Da'wah and Fundamentals of Religion

Umm Al-Qura University

Makkah Al-Mukkaramah - Kingdom of Saudi Arabia

mfharbi@uqu.edu.sa

تاريخ ورود البحث	تاريخ قبول البحث
١٤٤٦/٨/٢٤هـ - ٢٠٢٥/٢/٢٣م	١٤٤٦/١٠/٢٤هـ - ٢٠٢٥/٠٤/٢٢م

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى التعريف بمنهج النبي ﷺ في الدعوة بالقرآن مترسمًا معالم ذلك المنهج، وذاكراً أصناف المدعوين، ووسائل ذلك المنهج، وأساليبه مع نماذج تطبيقية منه، وقد سار الباحث وفق المنهج الاستقرائي والاستنباطي التحليلي، على اعتبار أن هذا الموضوع جديد في عنوانه ومنظومته المفاهيمية التي استطاع الباحث الخروج بها – بفضل الله تعالى – من خلال تدبر واعٍ لنصوص الوحي (الكتاب والسنة).

وكان من أهم النتائج: أن منهج الدعوة بالقرآن الكريم هو أعظم مناهج الدعوة على الإطلاق، وأطيبها ثمرة، قيام المنهج النبوي في الدعوة على جملة من المعالم على رأسها البدء بالتوحيد قبل كل شي، والإسرار والإعلان بحسب مقتضيات وأحوال الدعوة.

الكلمات المفتاحية: منهج النبي ﷺ – الدعوة – القرآن الكريم.

Abstract

This study aims to define the Prophet's methodology in inviting people to Islam through the Quran by outlining its key features, identifying the categories of those being invited, and examining the means and strategies employed, along with practical examples.

The researcher adopted an inductive, deductive, and analytical approach, considering that this topic is novel both in its title and in its conceptual framework, which was developed—by the grace of Allah—through a careful contemplation of the texts of revelation (the Quran and Sunnah).

Among the most significant findings of the study is that the Quranic approach to da'wah is the most comprehensive and fruitful of all da'wah methodologies. The Prophet's approach is based on several key principles, foremost among them the prioritization of monotheism, and the choice of secrecy or public proclamation according to the circumstances and needs of the da'wah effort.

Keywords: Prophet's methodology – Da'wah – The Holy Quran

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾[ق: ٤٥]، والقائل: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[المائدة: ٦٧]، والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل: (بلِّغوا عني ولو آية)(١).

أما بعد: فإن الله تعالى ما خلق الجن والإنس إلا لعبادته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦]. وقد أمر الله تعالى رسله بالدعوة إليه لتحقيق تلك الغاية فقال: ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾[الحج: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[القصص: ٨٧].

وقد سلك النبي ﷺ أساليب متنوعة في دعوته، ولما لم أجد دراسة دعْوية تناولت هديه ﷺ في الدعوة الله تعالى بالقرآن الكريم بنفسه – باعتباره المصدر الأول للدعوة – أحببت أن أبرز هذه القضية لتكون عوناً للدعاة في التأسي به ﷺ الدعوة إلى الله، وسميت دراستي: (**منهج النبي ﷺ في الدعوة بالقرآن الكريم**).

وتنبثق أهمية هذا البحث من أهمية الموضوع الذي يعالجه، فهو يدرس منهج النبي ﷺ في الدعوة بالقرآن الكريم، وبيان معالمه، والأساليب الدعوية النبوية، مع عرض نماذج تطبيقية لذلك.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم: (٤٣٦١)، (١٧٠/٤).

أهداف البحث:

يرمي هذا البحث لتحقيق الأهداف الآتية:

١- بيان أهم معالم دعوة النبي ﷺ بالقرآن.

٢- تحديد أصناف المدعوين الذين أمر الله رسوله ﷺ بدعوتهم بالقرآن.

٣- استنباط أساليب النبي ﷺ في الدعوة بالقرآن.

٤- عرض نماذج تطبيقية من دعوة النبي ﷺ بالقرآن.

منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج الاستقرائي والاستنباطي والتحليلي عند تناوله منهج النبي ﷺ في الدعوة بالقرآن الكريم، وبيان أهم معالم هذا المنهج الدعوي، وأصناف المدعوين، واستنباط أساليب النبي ﷺ في الدعوة بالقرآن، مع عرض نماذج تطبيقية من ذلك.

الدراسات السابقة:

هذا الموضوع جديد لم يجد الباحث - حسب علمه المتواضع وتتبعه الحثيث - لما كتب في علم الدعوة دراسة تناولت دراسة منهج النبي ﷺ في الدعوة بالقرآن الكريم، وهناك دراسات كثيرة تحدثت عن جوانب وموضوعات أخرى، وأهمها:

١- منهج النبي ﷺ في الدعوة ووسائل الحفاظ على مكتسباتها في المرحلة المدنية نموذجا، للباحث: بدر بن هادي كوبري، رسالة ماجستير، جامعة الملك خالد، أبها، ٢٠٢٢م.

وهذه الرسالة من خلال عنوانها بعيدة عن موضوع بحثي حيث تتناول منهجه ﷺ في الدعوة بالمدينة، ووسائل الحفاظ على مكتسباتها، وهذا يختلف عن بحثي الذي ينطلق من منهجه ﷺ في الدعوة بالقرآن، وقد اطلعت على البحث - ولله

الحمد – وأحتفظ بخطته.

٢- منهج النبي ﷺ في دعوة ذوي الاحتياجات الخاصة: دراسة دعوية، للباحث: عبد الحميد أحمد راضي، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٦٦)، ٢٠٢١م.

وهذا البحث المحكم متعلق بدراسة منهج النبي ﷺ في دعوة صنف من أصناف المدعوين، وهم ذوو الاحتياجات الخاصة، وهو يختلف تماما عن دراستي التأصيلية، التي تعنى بدعوة النبي ﷺ بالقرآن.

٣- منهج النبي ﷺ في الدعوة من خلال رسائله إلى الملوك والأمراء: دراسة تحليلية، للباحثة: ليندا نعيم شكري أبو سيف، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، الأردن، ٢٠١٢م.

وهذه الرسالة تتعلق بالسيرة النبوية، وتتناول وسيلة واحدة من وسائل الدعوة، وهي المراسلة، وهي بعيدة عن بحثي هذا.

٤- منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة من خلال السيرة الصحيحة، للباحث: محمد أمحزون، دار السلام، القاهرة، ط٥، ١٤٣١هـ.

وهذا البحث كما يتضح من عنوانه يتعلق بمنهجه ﷺ في الدعوة من خلال سيرته الصحيحة، وهو بحوزتي.

٥- منهج النبي ﷺ في الدعوة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، للباحث: حسن بن علي صوان الغامدي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٩٩٨م.

وهذه الرسالة وإن كانت – كما يبدو – قريبة من عنوان بحثي إلا أن الباحث بحسب الخطة – التي بحوزتي – نحا منحى تربويًا، والخطة تختلف مع خطة بحثي تمامًا، ما عدا جزئية موقف أهل الكتاب من القرآن الكريم.

ومن خلال العرض السابق تتضح أهمية الحاجة إلى القيام بدراسة منهج النبي

ﷺ في الدعوة بالقرآن، لتغطية تلك الفجوة البحثية، والله من وراء القصد.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من: مقدمة ثم تمهيد، وأربعة مباحث، ثم خاتمة.

المقدمة، واشتملت على: أهمية البحث، وأهدافه، ومنهجه، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

التمهيد، وعرفت فيه المنهج والدعوة في اللغة والاصطلاح، مع بيان مشروعية الدعوة بالقرآن.

المبحث الأول: معالم منهج النبي ﷺ في الدعوة بالقرآن.

المبحث الثاني: أصناف المدعوين الذين دعاهم النبي ﷺ بالقرآن.

المبحث الثالث: أساليب النبي ﷺ في الدعوة بالقرآن ووسائله.

المبحث الرابع: نماذج تطبيقية من دعوة النبي ﷺ بالقرآن.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث، وتوصياته.

التمهيد

أولاً: تعريف المنهج في اللغة والاصطلاح:

تعريف المنهج في اللغة:

المنهج في اللغة مصدر مأخوذ من نهج: وهو الطريق، ونهج لي الأمر أوضحه، وهو مستقيم المنهاج والمنهج: الطريق، وجمعه مناهج[(١)]، ونهج الأمر وأنهج: وضح، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، قال الطبري رحمه الله: "وأما المنهاج، فإنّ أصله: الطريقُ البيّن الواضح، يقال منه: هو طريق نَهْجٌ، وَمنهْجٌ بيّنٌ"[(٢)].

فالمنهج في اللغة هو الطريق المستقيم، الواضح البيّن، الموصل للغاية بيسر وسهولة، وبأقل وقت وجهد، ومنه منهج الدعوة الذي إذا انضبط حقق أهدافها.

تعريف المنهج في الاصطلاح:

تعددت تعريفات المنهج، وهذه التعريفات قريبة من المعنى اللغوي، ومنها: أنه الطريقة أو الأسلوب الذي ينتهجه العالم في بحثه أو دراسته مشكلته والوصول إلى حلول لها أو إلى بعض النتائج[(٣)].

والمقصود بمنهج النبي ﷺ الدعوة: الطرق والأساليب التي سلكها ﷺ وسار عليها في عرض الإسلام، والدعوة إليه من خلال فهمه للقرآن الكريم.

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٣٦١/٥)، مادة (نهج).
(٢) جامع البيان، الطبري (٣٨٤/١٠).
(٣) مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث، عبد الفتاح عيسوي (ص: ١٣).

ثانياً: تعريف الدعوة في اللغة والاصطلاح:

الدعوة في اللغة: مصدر دعا يدعو دعوةً ودعاءً، ودعا فهو داعٍ، والجمع دُعَاة، وهي: الطلب والمناداة، يقال: دعا بالشيء، أي: طلب إحضاره، ودعا إلى الشيء، أي: حثَّ على قصده، والدعوة النداء، ومنه ودعا فلاناً، أي: صاح به وناداه. ودعاه إلى المذهب، بمعنى: حثَّه على اعتقاده وساقه إليه(١).

فمادة الدعوة في اللغة لها عدة معان، منها: الطلب، والمناداة، والنداء، والدعاء إلى النحلة والدعوة للمذهب والفكرة، والحث على الاعتقاد، والمقصود منها في عرف الدعاة الحث على الإيمان بالله، وإمالة الناس إلى دينه.

الدعوة في الاصطلاح:

ثمة تعريفات كثيرة للدعوة، ومنها:

الدعوة إلى الإيمان بالله، وما جاءت به رسله؛ وذلك بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، ويتضمن ذلك: الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج، والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وكذا البعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يَعبُد العبدُ ربَّه كأنه يراه(٢).

وقيل هي: "قيام من له الأهلية بدعوة الناس جميعًا لاقتفاء أثر الرسول ﷺ والتأسي به قولًا وعملًا واعتقادًا، بالوسائل والأساليب المشروعة التي تتناسب مع أحوال المدعوين في كل زمان ومكان"(٣).

---

(١) لسان العرب، ابن منظور (٢٥٩/١٤)، مادة (دعو)، وينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ص: ١٦٩ -١٧٠).

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٥٧/١٥- ١٥٨) بتصرف يسير.

(٣) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، حمود الرحيلي (٤٠/١).

ولا شك أن هذين التعريفين يشكلان مضمون الدعوة وكيفيتها؛ فالأول يتناول الماهية، والتعريف الثاني يتناول الكيفية.

ثالثاً: مشروعية الدعوة بالقرآن:

دلت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية على وجوب الدعوة إلى الله بالقرآن الكريم، فمن نصوص القرآن الكريم:

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[الأنعام: ١٩]، فهذه الآية الكريمة تدل بعبارتها على أن القرآن هو موضوع الدعوة والرسالة، ومقصودها الأصلي، وقوله: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ فالقرآن الكريم وحي من عند الله تعالى أوحاه الله إلى رسوله لتحقيق الإنذار لمن كانوا في عصره، ومن يأتي بعدهم، واللام في (لأنذركم)، لبيان العلة، مما يدل على أعظم إنذار يكون بالقرآن الكريم، باعتباره يتضمن جوهر الوحي ومضمونه، والآية: "دليل على أن أحكام القرآن تعُمُّ الموجودين – وقت نزوله – ومن بعدهم، وأنه لا يؤاخذ بها من لم تبلغه"(١).

ثانياً: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

وهاتان الآيتان تبينان أن من مقاصد الرسالة أن يتلو النبي صلى الله عليه وسلم الآيات ويعلم الكتاب والسنة أمته.

فالدعوة إلى الله بتلاوة الآيات يحصل بها العلم؛ فإنَّ الآيات يقصد بها العلامات التي متى سمعوها دلَّتهم على المطلوب؛ من تصديق الرسول فيما أخبر، والإقرار

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (١٥٧/٢).

بوجوب طاعته، وعلى ما أمر به ونهى عنه(١).

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴾ [الفرقان: ٥٢]، وهذه الآية: "نص صريح في أن الجهاد في الدعوة إلى الله وإحقاق الحق هو من الدين، وأن إبطال الباطل من شبه المشبهين وضلالات الضالين، وإنكار الجاحدين، يكون بالقرآن العظيم؛ لأن فيه بيان العقائد وأدلتها، ورد الشبه عنها، وفيه – أيضًا – بيان الأخلاق محاسنها ومساويها، وكذا طرق الوصول إلى التحلي بالأولى، والتخلي عن الثانية ومعالجتها. وفيه كذلك أصول الأحكام وعللها، وفيه كل ما يحتاج إليه من يجاهد به في دين الله. فيستفاد منها كما يستفاد من الآيات الأخرى، أن على الدعاة والمرشدين أن تكون دعوتهم وإرشادهم بهذا القرآن العظيم"(٢).

ومن نصوص السنة النبوية الدالة على وجوب الدعوة بالقرآن حديث عبد اللَّهِ بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قال: (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً)(٣). فأمر النبي ﷺ أن يبلغ المسلم ولو آية من كتاب الله تعالى، قال ابن حجر: "قَالَ فِي الحديث: (وَلَوْ آيَةً)، أَيْ: واحدةً لِيُسَارِعَ كُلُّ سَامِعٍ إِلَى تَبْلِيغِ مَا وَقَعَ لَهُ مِنَ الْآيِ وَلَوْ قَلَّ لِيَتَّصِلَ بِذَلِكَ نَقْلُ جَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ ﷺ"(٤).

(١) ينظر: النبوات، ابن تيمية (٦٧١/٢).
(٢) مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس (ص: ١٨٨) بتصرف يسير.
(٣) تقدم تخريجه في مقدمة البحث.
(٤) فتح الباري، ابن حجر (٤٩٨/٦).

المبحث الأول

معالم منهج النبي ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى بالقرآن الكريم

من خلال استقراء نصوص القرآن يتبين للباحث أن منهج النبي على الدعوة بالقرآن الكريم يقوم على مجموعة من المعالم التي ينبغي على الدعاة أن يحذوا حذوه، ويقتفوا منهجه، ويمكن استعراض تلك المعالم باختصار، وبحسب حاجة البحث في الآتي:

أولاً: الإسرار والإعلان بالدعوة بحسب ما تقتضيه مصلحة الدعوة:

اتسمت المرحلة الأولى من مراحل الدعوة بالسرية والكتمان والحذر؛ حيث قصر النبي ﷺ البلاغ في مبدأ دعوته بمكة على مجموعة من الأفراد اصطفاهم لوجود جملة من المقتضيات لذلك.

وقد استمرت مرحلة الدعوة السرية بمكة ثلاث سنوات حتى أمر الله بالجهر بالدعوة، فقال تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٤، ٩٥][(١)]، قال ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى آمراً رسوله عليه الصلاة والسلام بإبلاغ ما بعثه به وإنفاذه وبالصدع به، أي: مواجهة المشركين به، كما قال ابن عباس: (فاصدع بما تؤمر) أي: أمضه... وقال مجاهد: هو الجهر بالقرآن في الصلاة. وقال عبد الله بن مسعود: مازال النبي ﷺ مستخفياً حتى نزل قول الله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ فخرج هو وأصحابه"[(٢)].

وفي حديث إسلام عمرو بن عبسة رضي الله عنه أنه قال: كنت وأنا في الجاهلية

(١) ينظر: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، الكلاعي (١/١٧٣).
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤/٥٥١) بتصرف يسير.

أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً، فقعدت على راحلتي، فقدمت عليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً، جُرآء عليه قومُه، فتلطَّفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت: ما أنت؟ قال: (أنا نبي)، قلت: وما نبي؟ فقال: (أرسلني الله)، قلت: وبأي شيء أرسلك، فقال: (أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء)، قلت له: فمَن معك على هذا؟ فقال: (حرٌ وعبدٌ) – ومعه يومئذ أبو بكر، وبلال ممن آمن به – قلت: إني متبعك، فقال: (إنك لا تستطيع ذلك يومَك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس؟ ولكن ارجع إلى أهلك، فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني)(١).

وقال ابن هشام رحمه الله: "وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا ذهبوا في الشعاب فاستخْفَوا بصلاتهم من قومهم، فبينا سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في شعب من شعاب مكة، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون، فعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعد يومئذ رجلاً من المشركين بلَحْي بعير فشجه، فكان أول دم أريق في الإسلام"(٢).

واختار النبي ﷺ دار الأرقم بن الأرقم مكاناً للدعوة، وممارسة الشعائر الإسلامية، فكانت أحد أهم المعالم في تاريخ الدعوة الإسلامية في مرحلة الدعوة السرية، وكان الأرقم سابع سبعة أسلموا، وقيل: عاشر عشرة، وقيل: الثاني عشر(٣).

ومن صور السرية وأخذ الحيطة والحذر، ما أورده ابن إسحاق في قصة إسلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قال: ثم إن علي بن أبي طالب جاء بعد ذلك بيومين فوجدهما يصليان، فقال على: ما هذا يا محمد؟ فقال النبي ﷺ: (دين الله

(١) والحديث طويل، تنظر تتمته في: صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة، رقم: (٨٣٢)، (١/٥٦٩).
(٢) السيرة النبوية، (٢/٩٨) بتصرف يسير.
(٣) الاستيعاب في أسماء الأصحاب، ابن عبد البر (١/٢١٨).

الذي اصطفى لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده، وإلى عبادته، والكفر باللات والعزى)، فقال علي: هذا أمر لم أسمعْ به قبل اليوم، فلستُ بقاض أمراً حتى أحدِّث أبا طالب، فكره النبي ﷺ أن يفشي عليه سرَّه قبل أن يستعلن أمره، فقال: (يا علي: إذا لم تسلم فاكتم)، فمكث عليٌّ تلك الليلة، ثم إن الله أوقع في قلبه الإسلام، فأصبح غادياً إلى رسول الله ﷺ حتى جاءه، فقال: ما عرضتَ علي يا محمد؟ فقال له النبي ﷺ: (تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد)، ففعل ذلك علي وأسلم، ومكث عليٌّ يأتيه على خوفٍ من أبي طالب، وكتم عليٌّ إسلامه(١).

لقد كانت الدعوة السرية فاتحة لقلوب بعض من الصحابة الذين انضووا حتى لواء الدعوة، فكان لهم السبق في الانتساب إلى الإسلام ونشر الدعوة، ويلاحظ في هذه المرحلة عدم وقوع الصدام بين المؤمنين الجدد وبين أهل مكة.

ولقد كان رسول الله ﷺ يتمثل توجيهات القرآن في دعوته وسائر أحواله، فلما انقضت مدة فتور الوحي ونزلت سورة الضحى، وفيها قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ١١]، "أي: بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة، (فحدث) أي: اذكرها، وادع إليها، فجعل رسول الله ﷺ يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة سرا إلى من يطمئن إليه من أهله"(٢).

ومن نعم الله التي لا تحصى نعمة القرآن، والتحدث بها تبليغاً لها، وتعليماً إياها، وهداية الناس، وتربيتهم بها، ودعوتهم للعمل بها.

ولما أمر الله رسوله ﷺ بالصدع بالدعوة فأعلنها ﷺ أمام الملأ دون مواربة استجابةً لأمر ربه تعالى، والصدع بالقرآن المراد به: الجهر به وتبليغه للناس وإسماعهم

(١) السير والمغازي، ابن إسحاق (ص: ١٣٧) بتصرف يسير.
(٢) السيرة النبوية، ابن هشام (١/٢٢٦).

له، وإظهار أوامره ونواهيه، امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[الحجر: ٩٤]. قال مجاهد رحمه الله: "في قوله ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ قال: بالقرآن"(١).

فكان من معالم منهجه في الدعوة إلى الله بالقرآن الجهر والصدع به تبليغاً لكلام الله؛ لما له من تأثير عميق في نفوس المدعوين، فعَنْ جَابِرِ بن عبد الله رضي الله عنه قَالَ: كان النبي ﷺ يعرض نفسه بالموقف فقال: (ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي)(٢).

كان الصحابة يحرسونه ﷺ، عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبي ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، فأخرج النبي ﷺ رأسه من القبة، فقال لهم: (يا أيها الناس، انصرفوا؛ فقد عصمني الله)(٣).

ومعنى الآية: أظهر التبليغ؛ لأنه ﷺ كان يخفيه في أول الإسلام خوفا من المشركين، ثم أمره الله بإظهاره في هذه الآية، وأعلمه أنه يعصمه من الناس... ودلت الآية على أنه ﷺ لم يُسِر من أمر الدين إلى أحد شيئًا؛ لأن المعنى: بلغ جميع ما أنزل إليك ظاهراً، ولولا هذا ما كان في قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ فائدة. وقيل: معناها: بلغ ما أنزل إليك من ربك أي في أمر زينب بنت

(١) جامع البيان، الطبري (١٥١/١٧).
(٢) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القرآن، رقم: (٤٧٣٤)، (٢٣٥/٤)، سنن ابن ماجه، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فيما أنكرت الجهمية، رقم (٢٠١)، (١٣٩/١)، قال الألباني: "صحيح"، السلسلة الصحيحة (٥٩١/٤).
(٣) سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة، رقم: (٣٠٤٦)، (٢٥١/٥)، وقال الألباني: "صحيح"، السلسلة الصحيحة (٦٤٤/٥).

جحش رضي الله عنها. وقيل غير هذا، والصحيح القول بالعموم؛ وقد قال ابن عباس رضي الله عنه: المعنى: بلغ جميع ما أنزل إليك من ربك، فإن كتمت منه شيئاً فما بلغت رسالته؛ وهذا تأديب للنبي ﷺ، ولحملة العلم من أمته ألا يكتموا شيئاً من أمر شريعته، وقد علم الله عز وجل من أمر نبيه أنه لا يكتم شيئا من الوحي[1].

ثانيا: الدعوة إلى التوحيد قبل كل شيء:

العقيدة هي مقصد الرسالات الإلهية، والأساس الذي ترتكز عليه دعائم الشريعة، ولن يُقبل من الناس عمل إلا إذا صلحت عقيدتهم وآمنوا بالله عز وجل وبوحدانيته وألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وأفعاله، واستيقنوا بعالم الغيب والدار الآخرة.

ومعرفة الله هي أول واجب على المكلفين، وإذا رسخت العقيدة في النفس أمكن بناء المجتمع الذي يلتزم الشرع الحنيف؛ في علاقته بربه، وعلاقته بالإنسان، وعلاقته بالكون والحياة، ولهذا كان جانب العقيدة هو أول ما دعا إليه رسل الله، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

إن غاية الدعوة في الإسلام هي تعبيد الناس لله تعالى، وحماية جناب التوحيد، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهذا هو الموضوع الأول للدعوة والهدف الكبير لها، فقد كان حال العالم قبل البعثة متداعياً، فاقداً العقيدة والنظام، واستشرى فيه الفساد، فكان كما قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾[الروم: ٤١].

ولقد أنزل الله تعالى كتابه على رسوله ﷺ ليحدث هذا التحول العظيم في فكر الناس وعقولهم، ويكشف زيف الجاهلية الجهلاء، وينقل الناس من الارتهان للخرافات

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٦/٢٤٢) بتصرف يسير.

وتيه الاعتقاد إلى مدى أرحب وأعمق يفضي بهم للوقوف على أسرار الخليقة وعظمة الخالق والتوجه له بالعبادة دون سواه، قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[المائدة: ١٥ - ١٦].

وفي الفترة المكية "ركز رسول الله ﷺ على بناء النواة الأولى للدعوة بناء محكماً، تكامل فيه التوثب الروحي العالي مع تنهيج الفكر، وتحريره من سلطان الخرافة، وتهذيب السلوك، والارتقاء به إلى مستويات عالية من السمو والكمال الإنساني"(١).

ولقد كان رسول الله ﷺ على علم منذ بداية دعوته أن مفاجأة كفار قريش بالدعوة، والدخول معهم في حوار علني حول أوضاعهم العقدية والفكرية والاجتماعية لن يزيد الأمر إلا تعقيداً وصعوبة، إذ كيف يدعوهم للحق وهو على علم بمدى تعلقهم بباطلهم، وكيف لهذا الحق الذي جاءهم به أن يشق طريقه وسط تلك الجاهلية الجهلاء، وكيف له أن يهدم تقاليدهم؟، ويهدد ما يتطاولون به على الناس من جاه، وما يجيش في صدورهم من كراهية للحق، ولدد في الخصومة، قال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ [مريم: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[الدخان: ٥٨]، "أي: إنما يسرنا هذا القرآن الذي أنزلناه سهلا واضحًا بينًا جليًّا بلسانك، الذي هو أفصح اللغات وأجلاها وأحلاها وأعلاها ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ أي: يتفهمون ويعملون. ثم لما كان مع هذا البيان والوضوح من الناس من كفر وخالف وعاند"(٢).

ولقد دعا رسول الله ﷺ قومه بالقرآن، ولكنهم اعترضوا على كون القرآن أنزل

(١) منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة، محمد أمحزون (٢٨٠).
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢٦٣/٧).

عليه دونهم، ولقد كانت الدعوة الإسلامية الحقة تمثل رداً حاسماً على كل قيم الجاهلية، وإعادة بنائها وفق قيم الشرع الحنيف الذي قوم على مبادئ العدل والرحمة والتعاون، لتتحقق مصالح الأمة، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٠ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٠ - ٣٢].

وهذا الاقتراح منهم يدل على فساد عقولهم، وضعف تصوراتهم، وانحراف مقاييس القيادة عندهم، فرد الله عليهم فقال الله تعالى ردًّا لاقتراحهم: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ﴾ يعني: أَهُم الخُزَّان لرحمة الله، وبأيديهم تدبيرها، فيعطون النبوة أو الرسالة مَن يشاؤون، ويمنعونها ممن يشاؤون؟ "وأما قولهم: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ﴾ فلو عرفوا حقائق الرجال، والصفات التي بها يُعرف قدر الرجل، وعظم منزلته عند الله وعند خلقه، لعلموا أن محمدًا ﷺ هو أعظم الرجال قدرًا، وهو أعلاهم فخرًا، وأكملهم عقلًا، وأغزرهم علمًا، وأجلُّهم رأيًا وعزما وحزمًا، وأكملهم خلقًا، وأوسعهم رحمة، وأشدهم شفقة، وأهداهم وأتقاهم. فهو قطب دائرة الكمال، وإليه المنتهى في أوصاف الرجال، وهو رجل العالم على الإطلاق، يَعرف ذلك أولياؤه وأعداؤه، فكيف يُفضِّل عليه المشركون أحدًا لم يشَم مثقال ذرة من كماله؟!"(١).

وعن أبي تميمةَ رضي الله عنه عن رجل من قومه، أنه أتى النبي ﷺ، أو قال: شهدت رسول الله ﷺ وجاءه رجل فقال: أنت رسول الله؟ أو قال: أنت محمد؟

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: ٧٦٥) بتصرف.

قال: نعم. فقال: إلامَ تَدْعو؟ فقال: (أدعو إلى ربك الذي إن مَسَّكَ ضر فدعوته كشفَ عنكَ، والذي إن أضللت بأرض قفرٍ فدعوته ردَّ عليك، والذي إن أصابتك سنة فدعوته أنبت لك)(١).

ثالثاً: البدء بدعوة الأقربين:

من معالم منهج النبي ﷺ في الدعوة بدؤه ﷺ بدعوة الأقربين منه، فيأمرهم بالصلاح والعبادة ليكونوا قدوة لمن وراءهم؛ ولأنهم أوْلى من سائر الناس: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء: ٢١٤]، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) صَعِدَ النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: يا بني فِهْر، يا بني عَدِيّ -لبطون من قريش- حتى اجتمعوا، فكان الرجل إذا لم يستطع أن يخرجَ بنفسه أرسل رسولًا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال النبي ﷺ: أرأيتكم لو أخبرتكم أنَّ خيلًا بالوادي تريد أن تغيرَ عليكم أكنتم مصدقيَّ؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تَبًّا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ)(٢).

قال ابن عثيمين رحمه الله: "قوله تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) وهم جماعاتٌ من بني المطَّلِب، وقد أَنْذَرَهُمْ جِهارًا، وهذا في أوّل الدعوة، أُمِر أنْ يُنْذِرَ عَشيرته الأقربينَ؛ لأنَّهم أحقُّ النَّاسِ بِبِرِّهِ، ولأنَّهم بِمُقْتَضَى القَرابة، لا بِمُقتضى الواقعِ أقربُ النَّاسِ إلى الإيمانِ به، ولأنَّهم – أيضًا – بمقتضى القرابةِ هم أشدُّ النَّاسِ غَيْرَةً عليه،

(١) مسند أحمد (٢٣٩/٣٤)، وقال الألباني: "صحيح". صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم: (٢٤٤)، (١/ ١٠٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء: ٢١٥]، رقم: (٤٧٧٠)، (١١١/٦).

ولأنَّهم – أيضًا – بصِلة القرابةِ هم أعظمُ النَّاسِ حقًّا عليه. فلذلك الإِنْسان مسؤولٌ عن أهلِهِ أكثرَ مما هو مسؤولٌ عنِ الأجانبِ، ومسؤولٌ عنِ القُرْبَى أكثر مما هو مسؤولٌ عمَّن هو ممَّن ليس بينه وبينه قرابةٌ"(١).

وإنذار الأقربين هو المرتبة الثانية من مراتب الدعوة، وتأتي بعد مرتبة النبوة وبعدهما تأتي مرتبة إنذار قومه، ثم مرتبة الإنذار لقومٍ ما أتاهم نذير من قبله، وهم العرب قاطبة، ثم مرتبة إنذارُ جميع مَنْ بلغته دعوته من الجن والإنس إلى آخر الدّهر، كما حدد ابن القيم – رحمه الله – هذه المراتب(٢).

فيجب على الداعية إلى الله أن يعتني بأقاربه عناية خاصة؛ لأنهم أحق الناس بالنصيحة والتوجيه والإحسان؛ والناس في كل عصر ينظرون إلى قرابة الداعية، وإلى مدى التزامهم بما يدعو إليه؛ قال ابن حجر رحمه الله: "والسر في الأمر بإنذار الأقربين أوَّلا: أن الحجة إذا قامت عليهم تعدَّت إلى غيرهم، وإلا فكانوا علة للأبعدين في الامتناع، وألا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من العطف والرأفة، فيحابيهم في الدعوة والتخويف؛ فلذلك نص له على إنذارهم"(٣).

رابعاً: التدرج في الدعوة:

ويمكنني تعريفه بأنه: التزام الحكمة في الأخذ بيد المدعو، وتبليغه الدعوة شيئاً فشيئاً.

وإن المتأمل في حال النبي ﷺ يجد التدرج من أهم معالم تلك الدعوة؛ فبدأ بدعوة الأقربين ومَن يثق بهم، ثم وسَّع دائرة الدعوة، ولم يكن التدرج كمَعْلم من معالم دعوته مقتصراً على تبليغ المدعوين بل شمل التدرج في تبليغ الأحكام وإنزال

(١) تفسير القرآن الكريم (سورة الشعراء) (ص: ٣٠٤).
(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٨٦/١).
(٣) فتح الباري، ابن حجر (٥٠٣/٨).

التكاليف، حتى ختمت بقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقد تدرج النبي ﷺ في دعوته، فلم يدعُ إلا مَن كان يأمل فيهم الاستجابة، وكان ﷺ يلتقي هؤلاء سراً، واختار لهم دار الأرقم بن أبي الأرقم ليلتقي بهم، ويعلمهم ويرشدهم، ويغرس العقيدة الصحيحة في نفوسهم، ويجتث منها جذور الشرك، ويزرع نوازع الخير، وحب الآخرين والرفق بهم.

ولا ريب أن تكتم النبي ﷺ في دعوته إلى الإسلام خلال السنوات الأولى من البعثة لم يكن بسبب الخوف على نفسه، فحين نزلت عليه سورة المدثر علم أنه رسول الله إلى الناس، ومدلول افتتاح هذه السورة معناه: "أي: شمِّر عن ساعد الجد، وانطلق بعزم وحزم دون توان، وقم بإنفاذ أمر الله إلى العباد حتى لا تفوتهم الفرصة، لأن الأمر بالقيام في هذا المقام لا يراد منه مجرد النهوض وترك التلفف في الثياب، وإنما يراد به العزيمة الناهضة في قوة حازمة، تتحرك ماضية في اتجاه ما كلفه من صدق العمل تحقيقاً لأداء واجب التبليغ"(١).

والله الذي أرسله لا شك أنه حاميه وناصره، ولكنه ألهمه الأخذ بأسلوب التدرج لحِكَم منها:

أولاً: تعليم الدعاة من بعده وإرشادهم إلى مشروعية الأخذ بالحيطة، والأسباب الظاهرة.

ثانياً: إن ما جاء به ﷺ من الدعوة إلى التوحيد والمساواة كان أمراً مناقضاً لما درجت عليه البيئة الجاهلية التي تموج بشتى المنكرات، فلو أنه ﷺ جهر بالدعوة لأول وهلة لأجهضت، ولم تقم لها قائمة.

(١) محمد رسول الله ﷺ، محمد الصادق عرجون (ص: ٥٩١).

خامساً: ملازمة تلاوة القرآن والتخلق بأخلاقه وتدبره:

من أهم المعالم في دعوته ﷺ بالقرآن التطبيق العملي لكل الأوامر والنواهي، والتخلق بالأخلاق المضمنة في هذا الكتاب العزيز، وقد سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ فقالت للسائل: "ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: (فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن)[١]، قال النووي رحمه الله: "معناه: العمل به، والوقوف عند حدوده، والتأدب بآدابه، والاعتبار بأمثاله وقصصه، وتدبره، وحسن تلاوته"[٢]، وقال ابن الملَك رحمه الله: "أي: كان عليه الصلاة والسلام متمسكًا بآداب القرآن وأوامره ونواهيه، وما يشمل عليه من المكارم والمحاسن والألطاف"[٣].

ولقد كان رسول الله ﷺ يتدبر للقرآن، ويتفكر آياته ومقاصده، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: (صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها، يقرأ مترسِّلا؛ إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل)[٤].

هكذا كان الرسول ﷺ يقرأ القرآن بحضرة صحابته، ويجتهد في تعليمهم؛ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها،

---

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض، رقم: (٧٤٦)، (٥١٢/١).
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، محيي الدين النووي (٢٦/٦).
(٣) شرح مصابيح السنة، (١٧٩/٢).
(٤) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، رقم: (٧٧٢)، (٥٣٦/١).

كما يعلمنا السورة من القرآن)[1]، وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن)[2].

فالرسول ﷺ معلم هذه الأمة الأول، علمها القرآن، وبالغ في تعليمها إياه؛ لأنه أساس الدين وقاعدته، وبين لها الأحكام والسنن والآداب.

سادساً: الحرص على المدعوين:

تقع مسؤولية البلاغ المبين على الداعية، وهذا ما ينبغي أن يحرص الداعية عليه، ويسعى في سبُل تحقيقه، ويتطلب له المناهج والأساليب والوسائل المناسبة، رغبة في أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور؛ للفوز برضا خالقهم، وعليه أن يبذل الوسع والهداية من الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[القصص: ٥٦]، ولقد كان رسول الله ﷺ يحزن حزناً شديداً على عدم استجابة الناس حتى خاطبه الله تعالى قوله: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[الكهف: ٦]، وكان ﷺ يسلك في دعوته كل السبل الممكنة للدعوة، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: (هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يوم أحد؟ قال: لقد لقيتُ من قومك ما لقيت، وكان أشدَّ ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلَّم علي، ثم قال: يا محمد، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي ﷺ: (بل أرجو أن

(١) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة، رقم: (٦٣٨٢)، (٨/٨١).
(٢) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، رقم: (٤٠٥)، (١/٣٠٢).

يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا)[1].

فعلى الداعي أن يحرص على هداية الناس، وألا يقف منهم موقف المتشفي، وأن يدعَ الإغلاظ عليهم، ويأخذهم بالرفق والتيسير.

سابعاً: ترتيب الأولويات الدعوية:

ومن معالم الدعوة إلى الله: مراعاة الأولويات الدعوية، وتقديم ما يلزم وجودُه لصحة الأقوال والأفعال على هذه الأقوال والأفعال نفسها، وهذا قد يتبادر إلى كثير من الناس أن الأولويات أمر بدهي لا ينبغي الاختلاف حوله، لكننا عند التطبيق نجد الأمر مهملًا عند كثير من الدعاة، على الرغم من النص على ذلك، فقد أوصى الرسول ﷺ معاذًا رضي الله عنه عندما أرسله إلى اليمن فقال: (إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أولَ ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا هم عرفوا الله فأخبرهم أن الله تعالى قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا ذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أموالهم وترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم، وتوقَّ كرائم أموال الناس)[2].

ففي هذا الحديث تقديم الدعوة إلى التوحيد على الصلاة والزكاة، وهما فرائض الإسلام؛ لأن أداء هذه الفرائض لا يصح إلا بعد الإيمان، فحدد الرسول ﷺ في هذا الحديث أولويات موضوعات الدعوة التي ينبني عليها غيرها، وهذا ما دل عليه حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، حيث قالت: (إنما نزل أول ما نزل منه

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: (آمين والملائكة في السماء، آمين) فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه، رقم: (٣٢٣١)، (٤/١١٥)، صحيح مسلم، كتاب، الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، رقم: (١٧٩٥)، (٣/١٤٣٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، رقم: (١٤٥٨)، (٢/١١٩)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم: (١٩)، (١/٥١).

سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر، لقالوا لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا لا ندع الزنا أبداً، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [القمر: ٤٦]، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده)[١]، وقولها رضي الله عنها: "(نزل الحلال والحرام) أشارت به إلى الحكمة الإلهية في ترتيب التنزيل، وأن أول ما نزل من القرآن هو الدعاء إلى التوحيد والتبشير للمؤمن المطيع بالجنة، وللكافر العاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس إلى ذلك أنزلت الأحكام، ولهذا قالت: (لو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندعها)، وذلك لما طُبعت عليه النفوس من النفرة عن ترك المألوف[٢].

ومن الأدلة على العمل بفقه الأولويات الدعوية أن الرسول ﷺ كان يخطب، وبينما هو على تلك الحالة إذ جاءه رجل فقال: (يا رسول الله، رجل غريب جاء يسأل عن دينه، لا يدري ما دينه، قال: فأقبل عليَّ رسول الله ﷺ، وترك خطبته حتى انتهى إليَّ، فأتي بكرسي، فقعد عليه رسول الله ﷺ وجعل يعلمني مما علمه الله، ثم أتى خطبته فأتم آخرها)[٣].

ذكر النووي رحمه الله: أن في هذا الحديث استحباب تلطف السائل في عبارته وسؤاله العالم، وتواضع النبي ﷺ، ورفقه بالمسلمين، وشفقته عليهم، وخفض الجناح لهم، ومبادرته إلى جواب المستفتي، وتقديم أهم الأمور فأهمّها، ولعله كان يسأل عن الإيمان وقواعده المهمة، وقد اتفق العلماء على أن من جاء يسأل عن الإيمان، وعن كيفية الدخول في الإسلام تجب إجابته، وتعليمه على الفور[٤].

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، رقم: (٤٩٩٣)، (١٨٥/٦).
(٢) فتح الباري، ابن حجر (٤٠/٩) بتصرف يسير.
(٣) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب حديث التعليم في الخطبة، رقم: (٨٧٦)، (٥٩٧/٢).
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦٥/٦).

المبحث الثاني

أصناف المدعوين الذين دعاهم النبي ﷺ بالقرآن

من أهم خصائص النبي ﷺ أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وأن دعوته عالمية، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

والقرآن أعظم كتاب أنزله الله تعالى، فهو الذكر الحكيم، والنور المبين، من دعا إليه هدى إلى الصراط المستقيم، ومن طلب الهدى بغيره حاد عن الحق المبين.

والقرآن الكريم أعظم معجزة أوتيها النبي ﷺ، قال ﷺ: (مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْه البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعا يَوْمَ القِيَامَةِ)[(١)].

فلعظيم أثر القرآن في النفوس ما كان من أهل الباطل إلا صَدّ النَّبِيّ ﷺ بالقوة عن تلاوة القرآن في البيت الحرام، وفي أسواق الموسم ومجامعه، وتواصيهم بما حكاه الله تعالى عنهم في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

ويمكن تقسيم أصناف المدعوين كما ورد في القرآن الكريم في الآتي:

(١) صحيح البخاري، فضائل القرآن، باب كيف نزول الوحي، وأول ما نزل، رقم: (٤٩٨١)، (١٨٢/٦)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، رقم: (١٥٢)، (١٣٤/١).

أولاً: الكافرون:

وهم صنف من أمة الدعوة، وقد وصف الله حالهم عند دعوتهم وسماعهم القرآن فقال: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحج: ٧٢]، فقد كان نبي الله ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم يتلون عليهم الآيات ويجدد التلاوة، وكانوا يكادون يبطشون به، من كراهيتهم للقرآن. ومن مواقفهم عند دعوتهم بالقرآن:

١- الإعراض عن القرآن: قال تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: ٤-٥]، قال الطبري رحمه الله: "وما تأتي هؤلاء الكفار الذين بربهم يعدِلون أوثانَهم وآلهتهم حجّة وعلامة ودلالة من حُجج ربهم ودلالاته وأعلامه على وحدانيته، وحقيقة نبوتك، يا محمد، وصدق ما أتيتهم به من عندي، إلا أعرضوا عنها، يعني عن الآية، فصدّوا عن قَبُولها والإقرار بما شهدت على حقيقته ودلّت على صحته، جهلا منهم بالله، واغترارًا بحلمه عنهم"(١).

٢- القول بأن النبي هو مصدر القرآن: قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣ - ١٤]، "وفي هذه الآيات إرشاد إلى أنه لا ينبغي للداعية إلى الله أن يصده اعتراض المعترضين، أو قدح القادحين. خصوصًا إذا كان القدح هذا لا مستند له، ولا يقدح فيما دعا إليه، وأنه لا يضيق صدره، بل يطمئن بذلك، ويمضي على أمره، مقبلا على شأنه، وأنه لا يجب عليه إجابة اقتراحات المقترحين للأدلة التي

(١) جامع البيان، (٢٦٢/١١).

يختارون، بل يكفي إقامة الدليل السالم عن الاعتراض على جميع المسائل والمطالب[1].

٣- التهاون بالقرآن: قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٦].

٤- الاستهزاء بالقرآن: وقد بين الله تعالى المنهج الدعوي في التعامل مع هؤلاء المستهزئين، فقال: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٤٠].

وفي الآية دلالة على أنهم كانوا يسمعون كلام الله، ليس سماع تفكر وتدبر، ولا تذكر، ولا اعتبار، بل غايتهم الاستهزاء، والطعن فيه، وفيمن أنزل عليه، فأمر الله عباده المؤمنين أن يغادروا مجالس الاستهزاء تلك.

٥- القول بأن الرسول ﷺ هو مصدر القرآن: قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الأحقاف: ٨]، وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ [الطور: ٣٣ - ٣٤].

والضمير في قوله: (افتراه) و(تقوله) يعود على النبي ﷺ، فقد كان - عليه السلام - يدعوهم إلى الله وبكتاب الله، فزعموا أن هذا القرآن من كلامه ﷺ، وهذه شبهة ممجوجة غايتها الكفر بالقرآن، وبمن أنزله، ومن أنزل عليه، والتشغيب على الذكر الحكيم، الذي يحكم كل ذي عقل أنه من عند الله تعالى.

٦- اقتراحهم على النبي ﷺ أن يأتي بآيات أو بقرآن آخر، أو تبديله: قال

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: ٣٧٨) بصرف.

تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٠ – ٥١].

فمن غايات نزوله أن يتلى عليهم كي يتعرضوا لما فيها من الرحمة، وبيان الحق، وكشف الباطل، ولما فيه الذكرى بما حل بالأمم المتقدمة المعرضة، ولكنهم أعرضوا عما "فيه من العلم الكثير، والخير الغزير، وتزكية القلوب والأرواح، وتطهير العقائد، وتكميل الأخلاق، والفتوحات الإلهية، والأسرار الربانية"(١).

٧- إثارة اللغط والتشويش عند قراءته: قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[فصلت: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢].

لقد كانوا يحثون أتباعهم عن سماع تلاوة القرآن على إثارة اللغط واللغو، وغن سمعوه كانوا لاهين لاعبين، متشاغلين عنه بما سواه، وهذا من فرط غفلتهم، وشدة كفرهم به.

٨- دعوتهم إلى البقاء على تراث أجدادهم: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[المائدة: ١٠٤].

لقد كانوا يدعون إلى الإيمان بما أنزل الله فيعرضون، ويكتفون بالبقاء على دين آبائهم، وهذا هو التقليد الأعمى، والفهم المنحرف، فليس هناك أهدى من كتاب الله تعالى.

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: ٦٣٣).

٩- القول بأن القرآن سحر: قال تعالى:﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [سبأ: ٤٣]

أخبر الله تعالى عنهم: "أنهم يستحقون منه العقوبة والأليم من العذاب؛ لأنهم كانوا إذا تتلى عليهم آياته بينات يسمعونها غضة طرية من لسان رسوله ﷺ: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ ﴾، يعنون أن دين آبائهم هو الحق، وأن ما جاءهم به الرسول عندهم باطل"(١).

١٠ – القول بأن القرآن أساطير الأولين، ومن ذلك: قال تعالى:﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال: ٣١]، وقال تعالى: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [القلم: ١٥].

وهذه الآيات تتحدث عن موقفهم من القرآن عند تلاوته عليهم، فكانوا يقولون للرسول ﷺ: "إن هذا القرآن الذي تتلوه علينا يا محمد إلا ما سطره الأولون، وكتبوه من أخبار الأمم. كأنهم أضافوه إلى أنه أخذ عن بني آدم، وأنه لم يوحه الله إليه"(٢).

ثانيا: أهل الكتاب:

انقسم أهل الكتاب إزاء دعوة النبي بالقرآن إلى قسمين: المؤمنون به، والكافرون به، وقد سجل القرآن مواقف كل منهم؛ فقال عن المؤمنين: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[البقرة: ١٢١]، والمراد بهذه الآية مَن آمن مِن اليهود، فهم يتلون القرآن بإمعان، فيجدونه مطابقاً للتوراة؛ فيؤمنون به. وأما الكفار من أهل الكتاب، وهم الفئة الكبيرة فقد كانت لهم مواقف

(١) تيسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/٢٥٤، ٥٢٥).
(٢) جامع البيان، الطبري (١١/١٤٢).

مناوئة للقرآن الكريم، سُجلت في كثير من آياته، ومن مواقفهم تجاه القرآن:

١- لبس الحق بالباطل: قال تعالى: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[آل عمران: ٧٢]، قال الواحدي رحمه الله: "وذلك أنَّ جماعةً من اليهود قال بعضهم لبعض: أظهروا الإيمان بمحمَّدٍ والقرآنِ في أوَّل النَّهار وارجعوا عنه في آخر النهار فإنَّه أحرى أن ينقلب أصحابه عن دينه ويشكُّوا إذا قلتم: نظرنا في كتابكم فوجدنا محمَّداً ليس بذاك فأطلع الله نبيَّه عليه السَّلام على سرِّ اليهود ومكرهم بهذه الآية"(١).

٢- ادعاؤهم الإيمان بالتوراة والكفر بغيرها: قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة:٩١]، قال الواحدي رحمه الله: "(وإذا قيل) لليهود (آمنوا بما أنزل الله) بالقرآن (قالوا نؤمن بما أنزل علينا) يعني: التَّوراة (ويكفرون بما وراءه) بما سواه، (وهو الحقُّ) يعني: القرآن (مصدِّقاً لما معهم) موافقاً للتَّوراة"(٢).

٣- تشكيك المؤمنين في القرآن: قال تعالى:﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٧٠ - ٧٣]، والمراد بالطائفة هنا اليهود، وكان العرب يعتقدون فيهم: أنهم علماء في الدين، فاستغل اليهود هذا المعتقد عند العرب، وأرادوا أن يبينوا لهم

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ص: ٢١٧)
(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ص: ١١٨).

أن القرآن الكريم غير صحيح، فكانوا يؤمنون صباحا ويكفرون مساء، مدعين أنهم بحثوا في كتبهم، فوجدوه غير صحيح.

٤– كفرهم بالقرآن علانية، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ١٠١]، وسبب نزول هذه الآية أن اليهود هددوا الأنصار بظهور نبي يقاتلونهم معه فلما رأوا النبي ﷺ ليس منهم ولا من طينتهم كفروا بما جاء به، وأعرضوا ونكصوا عن وعودهم التي قطعوها على أنفسهم عصبية يهودية لأن النبي المرسل ليس منهم(١).

ولما جاء القرآن أنكروه، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍۗ﴾ فرد الله عليهم بقوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۚ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١].

وموقف أهل الكتاب وبخاصة اليهود منهم كان أشد تعنتاً من مشركي مكة، فهم كانوا على علم به ﷺ من خلال كتبهم، فعداوتهم للقرآن ومن أنزله ولمن يقرؤه عليهم مع علمهم بصحة ذلك دليل على الكراهية والحقد، وهو ما يجسده اليوم حقدهم وسعيهم في نشر الفساد في الأرض ليكون لهم سلطان على كل شيء.

ثالثاً المنافقون:

النفاق بدأ بعد هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، ومازالت أكاذيب المنافقين ومؤامراتهم لإطفاء جذوة الإسلام متقدة حتى يومنا. ومن شأن أهل النفاق إبطان الكفر وإظهار الإيمان أمام أهل الإيمان، لكن إذا خلا بعضهم ببعض طعنوا في القرآن: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ

(١) السيرة النبوية، ابن هشام (١/٢١١).

مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة: ١٤، ١٥]، ومن موافقهم عند دعوتهم بالقرآن:

١- الاستهزاء بالقرآن: كان المشركون يستهزئون بالقرآن فسار المنافقون على منوالهم، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٤ – ١٢٧].

فحكم الله جل شأنه على هؤلاء بالكفر، فقال: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة: ٦٤ - ٦٦].

٢- التحاكم إلى الطاغوت: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء:٦٠-٦١]. قال السعدي رحمه الله: "يعجب تعالى عباده من حالة المنافقين. (الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ) مؤمنون بما جاء به الرسول وبما قبله، ومع هذا (يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ)، وهو كل من حكم بغير شرع الله فهو طاغوت. والحال أنهم (قد أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ) فكيف يجتمع هذا والإيمان؟ فإن الإيمان يقتضي الانقياد لشرع الله وتحكيمه في كل

أمر من الأمور، فمَنْ زعم أنه مؤمن واختار حكم الطاغوت على حكم الله، فهو كاذب في ذلك. وهذا من إضلال الشيطان إياهم، ولهذا قال: (وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالا بَعِيدًا) عن الحق"(١).

٣- الغضب عند نزول الآيات الفاضحة لهم والانصراف عن سماعها: قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧]، وذلك؛ لأنهم "لا يفقهون الدعوة وسرها، وما فيها؛ لأن قلوبهم في أكنة لا يصل إليها نور أبدا، فهم معرضون يجعلون أصابعهم في آذانهم، من شدة الحقد، وفساد الطبع وخبث الطوية"(٢).

٤- الزيادة في الكفر: قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

رابعاً: المؤمنون وعصاة المسلمين:

وفي دعوة المؤمنين أو العصاة منهم يحتاج الداعية أن يُحرّك الإيمان في قلوبهم، ثم يُخوّفهم من عقاب الله الذي أعدَّه للعصاة، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾[الحديد: ١٦].

وهذه الآية فيها حث على خشوع القلب بدلالة الاستفهام، أي: ألم يحن الوقت للمؤمنين أن ترق قلوبهم وتلين لذكر الله، وللعمل بكتابه الذي لو أنزله على جبل لتصدع، وفيها تحذير لهم من صنيع أهل الكتاب الذين جاءتهم البينات،

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٨٤).
(٢) التفسير الواضح، محمود حجازي (٢/٣٣).

فاختلفوا، وقست قلوبهم.

ويحثهم على الإنابة والتوبة والاستسلام لشرع الله ومنهجه، وعدم اليأس، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ [الزمر: ٥٥]، أي اتبعوا: "مما أمركم من الأعمال الباطنة، كمحبة الله، وخشيته، وخوفه، ورجائه، والنصح لعباده، ومحبة الخير لهم، وترك ما يضاد ذلك. ومن الأعمال الظاهرة، كالصلاة، والزكاة والصيام، والحج، والصدقة، وأنواع الإحسان، ونحو ذلك، مما أمر الله به، وهو أحسن ما أنزل إلينا من ربنا، فالمتبع لأوامر ربه في هذه الأمور ونحوها هو المنيب المسلم"(١).

ومن هدي النبي ﷺ في دعوة العصاة، أن يدعوهم بالقرآن الكريم، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إني عالجت امرأة في أقصى المدينة، وإني أصبت منها ما دون أن أمسها، فأنا هذا، فاقض في ما شئت، فقال له عمر: لقد سترك الله، لو سترت نفسك، قال: فلم يرد النبي ﷺ شيئاً، فقام الرجل فانطلق، فأتبعه النبي ﷺ رجلا دعاه، وتلا عليه هذه الآية: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ [هود: ١١٤]، فقال رجل من القوم: يا نبي الله هذا له خاصة؟ قال: (بل للناس كافة)(٢).

ويمكن أن نذكّر في هذا المقام بقصة الثلاثة الذين خُلِّفوا في غزوة تبوك، فلما تركوا الخروج مع الرسولِ ﷺ لغزوة تبوك، مع قوة إيمانهم وعلمهم، ولا عذر لهم، أمر رسول الله المؤمنين ﷺ بهجرهم، حتى تاب الله عليهم، وهم: هلال بن أمية، وكعب

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص٧٢٧).

(٢) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴾[هود: ١١٤]، رقم: (٢٧٦٣)، (٤/٢١١٦).

بن مالك، ومرارة بن الربيع رضي الله عنهم، والقصة مفصلة في الصحيحين[1]؛ قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

وعلى الداعي أن ينظر إلى أهل المعاصي نظرةَ تفهُّم وتَعَقُّلٍ لأسباب ودواعي سقوطهم في هذه المعاصي؛ فإذا عرف أسباب وقوعهم في المعصية؛ فسيُساعده ذلك في انتشالهم منها، وعليه ألا يحتقرهم أو يُعيّرهم، ولا يشمت بهم؛ بل يتخذ الوسائل اللازمة بحكمة ويقظة؛ لإصلاحهم، وجعلهم أعضاءً صالحين في المجتمع المسلم الذي يعمل لنهضته، ويسعى لصلاحه؛ لأن تشنيعهم سوف يؤدي إلى تقوية داعية المعصية فيهم، والاستهانة بالداعي، وإلحاق الأذى به، فينبغي أن يتذكَّر دائمًا قوله ﷺ: (كلُّ بني آدمَ خطَّاءٌ، وخيرُ الخطَّائينَ التَّوَّابونَ)[2]، فالمسلم غير معصوم من المعصية، والأنبياء والرسل هم المعصومون من الخطايا.

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، وقول الله عز وجل: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [التوبة: ١١٨]، رقم: (٤٤٨١)، (٣/٦)، صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، رقم: (٢٧٦٩)، (٢١٢٠).

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، رقم: (٤٢٥١)، (١٤٢٠/٢)، وقال الألباني: "حسن"، مشكاة المصابيح: رقم: (٢٣٤١)، (٧٢٤/٢).

المبحث الثالث

أساليب النبي ﷺ في الدعوة بالقرآن ووسائلها

إن المتأمل في دعوة النبي ﷺ بالقرآن يجد تنوعاً في الأساليب والوسائل، فلم يتخذ أسلوبا أو وسيلة واحدة فقط، بل نوع فيها، وسأذكر بعضاً من الأساليب والوسائل في الحيز الآتي:

أولاً: أساليب النبي ﷺ في الدعوة بالقرآن:

الأساليب: هي مجموعة من الطرق القولية والعملية التي يستخدمها الداعية للعبور إلى قلب المدعو وإقناعه بما يدعو إليه ومن ثم تحقيق الهدف الذي يصبو إليه(١).

وقد بين الله تعالى لنبيه الكريم وللدعاة من بعده أنجع أساليب الدعوة فقال جل شأنه: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[النحل: ١٢٥].

١- الحكمة: وهي الإصابة في القول والفعل(٢)، والحكمة في الدعوة إلى الله لها جملة من المعالم، ومنها: اختيار المنهج المناسب، والوقت والمكان المناسب، والأسلوب المناسب، والوسيلة المناسبة والقول المناسب، "ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين"(٣)، ونتائجها عظيمة ومنها: تأليف القلوب، وسل سخيمة

(١) الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله، خالد الخياط (ص: ١٠٤).
(٢) جامع البيان، الطبري (٨٧/٣)، وللحكمة معان كثيرة، لا داعي لذكرها هنا.
(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: ٤٥٢).

الأعداء، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤ - ٣٥].

٢- الموعظة الحسنة: اختلف في معنى الوعظ، فقيل: الكلام الذي تلين له القلوب(١). وقيل: زجر مقترن بتخويف(٢)، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وتكون الموعظة بالقرآن، وبالسنة، وأقوال الصحابة، والسلف الصالح، والعلماء، وحكم الشعراء، والقصص المؤثر الهادف، والوقائع التاريخية، والحقائق العلمية الكاشفة عن إعجاز القرآن والسنة، وبالأساليب المؤثرة.

٣- الجدال بالتي هي أحسن: أي: "بالطريقة التي هي أحسنُ طرقِ المناظرةِ والمجادلة من الرفق واللينِ واختيار الوجهِ الأيسرِ واستعمالِ المقدّمات المشهورةِ تسكيناً لشغَبهم وإطفاءً لِلَهبهم كما فعله الخليلُ عليه السلام"(٣)، "وفي الآية دليل أن المناظرة والمجادلة في العلم جائزة، إذا قصد بها إظهار الحق. وهذا مثل قوله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]"(٤).

قال الألوسي رحمه الله: "وإنما تفاوتت طرق دعوته ﷺ لتفاوت مراتب الناس،

(١) أضواء البيان، الشنقيطي (٤٣٧/٢).
(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ص: ٥٢٧).
(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، العمادي (١٥١/٥).
(٤) بحر العلوم، السمرقندي (٢٩٦/٢).

فمنهم خواص وهم أصحاب نفوس مشرقة قوية الاستعداد لإدراك المعاني قوية الانجذاب إلى المبادئ العالية مائلة إلى تحصيل اليقين على اختلاف مراتبه وهؤلاء يدعون بالحكمة بالمعنى السابق، ومنهم عوام أصحاب نفوس كدرة ضعيفة الاستعداد شديدة الألف بالمحسوسات، قوية التعلق بالرسوم والعادات، قاصرة عن درجة البرهان، لكن لا عناد عندهم وهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة بالمعنى المتقدم، ومنهم من يعاند ويجادل بالباطل ليدحض به الحق لما غلب عليه من تقليد الأسلاف، ورسخ فيه من العقائد الباطلة فصار بحيث لا تنفعه المواعظ والعبر، بل لا بد من إلقامه الحجر بأحسن طرق الجدال؛ لتلين عريكته، وتزول شكيمته، وهؤلاء الذين أمر ﷺ بجدالهم بالتي هي أحس"[(١)].

٤- الترغيب والترهيب: وكان من هديه ﷺ في الدعوة إلى الله حال الترغيب في طاعة أو الترهيب من معصية، أن يتلو عليهم القرآن الكريم، فمن ذلك:

الترغيب في قيام الليل: عن معاذ بن جبل، قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر، فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني من النار، قال: (لقد سألت عظيماً، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت)، ثم قال: (ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ النار الماء، وصلاة الرجل من جوف الليل)، ثم قرأ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦]، حتى بلغ: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، ثم قال: (ألا أخبرك برأس الأمر، وعموده، وذروة سنامه؟ الجهاد» ثم قال: (ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟) قلت: بلى، فأخذ بلسانه، فقال: (تكف عليك هذا)، قلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: (ثكلتك أمك يا

(١) روح المعاني (٤٨٧/٧).

معاذ وهل يكب الناس على وجوههم في النار، إلا حصائد ألسنتهم؟)[1].

الترهيب من عدم دفع الزكاة: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "من آتاه الله مالا، فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه – يعني بشدقيه – ثم يقول أنا مالك أنا كنزك، ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾[آل عمران: ١٨٠] الآية[2].

٥– لفت النظر إلى الآيات الكونية: وكان من هديه لفت النظر إلى الآيات الكونية من خلال القرآن الكريم، فعن ابن عباس: أنه بات عند النبي ﷺ ذات ليلة "فقام نبي الله ﷺ من آخر الليل، فخرج فنظر في السماء، ثم تلا هذه الآية في آل عمران: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، حتى بلغ: ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[آل عمران: ١٩١]، ثم رجع إلى البيت فتسوك وتوضأ، ثم قام فصلى، ثم اضطجع، ثم قام، فخرج فنظر إلى السماء فتلا هذه الآية، ثم رجع فتسوك فتوضأ، ثم قام فصلى"[3].

٦– التكرار (ترديد الآيات): عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية، فرددها حتى أصبح: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨][4].

---

(١) سنن الترمذي، أبواب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، رقم: (٢٦١٦)، (١٢/٥)، سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب كف اللسان عن الفتنة، رقم: (٣٩٧٣)، (١٣١٤/٢)، وصححه الألباني، ينظر: السلسلة الصحيحة: (٨٤٥/٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم: (١٤٠٣)، (١٠٦/٢).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب السواك، رقم: (٢٥٦)، (٢٢١/١).

(٤) سنن النسائي، كتاب الافتتاح، باب ترديد الآية، رقم: (١٠١٠)، (١٧٧/٢)، مسند أحمد، رقم: (٢١٣٨٨)، (٣١٠/٣٥)، قال الألباني: "صحيح"، مشكاة المصابيح، رقم: (١٢٠٥)، (٣٧٨/١).

وهذا الترديد فيه حث للأمة على الاقتداء به ﷺ في ذلك؛ لأنه لا يخلو من فوائد منها: الارتباط بالقرآن، والتعلق به، والعمل بمقتضاه.

٧ – ترتيل القرآن: وهو التنفيذ والتنسيق وحسن النظام، المتمثل في قراءة القرآن بجودة الأداء والتأني بالقراءة وحسن الصوت وجماله وتدبر معانيه(١)، قال تعالى مخاطبا نبيه ﷺ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، و"ترتيل القرآن به يحصل التدبر والتفكر، وتحريك القلوب به، والتعبد بآياته، والتهيؤ والاستعداد التام له"(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: "كانت قراءتُه ترتيلاً لا هذًّا ولا عجلة، بل قِراءةً مفسَّرة حرفاً حرفاً، وكان يُقَطِّع قراءته آية آية، وكان يمدُّ عند حروف المد"(٣).

وقد تنوعت طريقة النبي ﷺ في الدعوة إلى الله بالقرآن، فلم يكتف بتلاوة القرآن وعرضه على من يدعوهم فقط، بل حرص أيضاً على الاستماع من الصحابة رضي الله عنهم، عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله ﷺ: (اقرأ عليَّ القرآن)، قال: فقلت: يا رسول الله أقرأ عليك؟ وعليك أنزل؟ قال: (إني أشتهي أن أسمعه من غيري)، فقرأت النساء حتى إذا بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، رفعت رأسي، أو غمزني رجل إلى جنبي، فرفعت رأسي فرأيت دموعه تسيل"(٤).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ النبي ﷺ لِأُبَيٍّ بن كعب: (إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي

(١) فتح القدير، الشوكاني (٥/٤١٩).
(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: ٨٩٣)
(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/٤٨٢).
(٤) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن، وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر، رقم: (٨٠٠)، (١/٥٥١).

أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [البينة: ١]، قَالَ: وَسَمَّانِي؟ قَالَ: (نَعَمْ) فَبَكَى"(١).

قال أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله: "معنى هذا الحديث: أن يتعلم أُبي قراءة رسول الله ﷺ لا أن رسول الله ﷺ يتعلم قراءة أُبي رضي الله عنه"(٢).

فاستماع النبي ﷺ لقراءة الصحابة رضي الله عنهم يستفاد منه:

أ – استحباب عرض القرآن، لتصحيح التلاوة وحسن التأثير في المدعو.

ب– تدبر القرآن وفهمه، قال الإمام ابن بطال في شرحه لحديث ابن مسعود السابق: "معنى استماعه القرآن من غيره– والله أعلم – ليكون عرض القرآن سنة، ويحتمل أن يكون كي يتدبره ويفهمه، وذلك أن المستمع أقوى على التدبر، ونفسه أخلى وأنشط من نفس القارئ؛ لأنه في شغل بالقراءة وأحكامها"(٣).

ج – التشجيع ورفع الهمة، والحث على المداومة على التلاوة والتعلق بكتاب الله.

٨– إسماع القرآن للمدعوين ولو كانوا محاربين: من أساليب الكافرين في الصد عن دين الله عز وجل – كما مرَّ معنا – تحذير الناس من سماع القرآن، لمعرفتهم بقوة تأثيره في النفوس، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت:٢٦]، قال الطبري رحمه الله: "(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله ورسوله من مشركي قريش: (لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ) لا تسمعوا لقارئ هذا القرآن

(١) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب أبي بن كعب رضي الله عنه، رقم: (٣٨٠٩)، (٣٦/٥)، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل والحذاق فيه، رقم: (٧٩٩)، (٥٥٠/١).
(٢) كتاب السبعة، ابن مجاهد (ص: ٥٥).
(٣) شرح صحيح البخاري، ابن بطال (٢٧٧/١٠).

إذا قرأه، ولا تصغوا له، ولا تتبعوا ما فيه فتعملوا به. (وَالْغَوْا فِيهِ) الغطوا بالباطل من القول إذا سمعتم قارئه يقرؤه كَيْما لا تسمعوه، ولا تفهموا ما فيه، لعلكم بفعلكم ذلك تصدون من أراد استماعه عن استماعه، فلا يسمعه، وإذا لم يسمعه ولم يفهمه لم يتبعه، فتغلبون بذلك من فعلكم محمدا"(١).

وقد أمر الله تعالى بتأمين المشرك إذا طلب الأمان؛ ليسمع القرآن، فقد يكون ذلك طريقاً لتصحيح تصوراته المغلوطة، وأفكاره المشوهة عن هذا الدين، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾[التوبة: ٦]، "والمراد أن يسمع المقدار الذي تقوم به الحجة، ويتبين به بطلان الشرك وحقيقة التوحيد، والبعث، وصدق الرسول في تبليغه عن الله، فإنه إذا ألقى إليه السمع لا يلبث أن يظهر له الحق إذا لم تصده العصبيّة والعدوان للداعي...وما أعرضوا إلا عن جهلٍ وعصبيةٍ، واغترارٍ بالقوة، وإصرارٍ على الجفوة. فإذا هم شعروا بضعفهم، وصدق وعد الله بنصر المؤمنين عليهم، وأعدّهم ذلك للعلم بما كانوا يجهلون، وطلبوا الأمان لهذا السبب أو لغرض آخر يترتب عليه إمكان تبليغهم الدعوة وإسماعهم كلام الله أُجيبوا إلى ذلك؛ لأن هذه الطريق المثلى لتعليمهم وهدايتهم، والرسول صلوات الله عليه إنما أرسل مبشراً ونذيراً"(٢).

٩- الاجتماع لتلاوة القرآن ومدارسته: لقد حث رسول الله إلى الاجتماع لتلاوة القرآن ومدارسته، وبين فضل ذلك بقوله: "وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده"(٣).

(١) جامع البيان، (٢١/٤٦١).
(٢) تفسير المراغي (١٠/٥٩، ٦٠)، باختصار يسير.
(٣) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم: (٢٦٩٩)، (٤/٢٠٧٤).

قال ابن تيمية رحمه الله: "أما النبي ﷺ وأصحابه فعبادتهم ما أمر الله به من الصلاة والقراءة والذكر ونحو ذلك، والاجتماعات الشرعية، ولم يجتمع النبي ﷺ وأصحابه على استماع غناء قط، وكان أصحاب النبي ﷺ إذا اجتمعوا أمروا واحدا منهم أن يقرأ، والباقون يستمعون، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسى الأشعري: ذكرنا ربنا، فيقرأ وهم يستمعون"(١).

وأسلوب المدارسة هو نفس الأسلوب والطريقة التي تلقى بها النبي ﷺ القرآن من أمين الوحي جبريل عليه السلام، ففي الحديث: (كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه القرآن، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة)(٢).

ثانياً: وسائل النبي ﷺ في الدعوة بالقرآن:

والمقصود بالوسائل: هي الطرق التي يتوصل بها الداعي إلى تبليغ دعوته(٣).

أولاً: وسائل دعوة النبي بالقرآن:

١- المنبر: وهو من الوسائل التي اتخذها النبي في تبليغ القرآن، فعن صفوان بن يعلى، عن أبيه رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ على المنبر: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ﴾[الزخرف: ٧٧]"(٤).

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص: ١٨٣).

(٢) صحيح البخاري، بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ رقم: (٦)، (١/٨)، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، رقم: (٢٣٠٨)، (٤/١٨٠٣).

(٣) رسالة في الدعوة إلى الله، ابن العثيمين (ص:١١).

(٤) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: (آمين والملائكة في السماء، آمين)

٢- القراءة على الدابة: عن عبد الله بن مغفل، قال: (رأيت النبي ﷺ يقرأ وهو على ناقته أو جمله، وهي تسير به، وهو يقرأ سورة الفتح -أو من سورة الفتح- قراءة لينة يقرأ، وهو يرجّع)(١).

قال ابن القيم رحمه الله واصفًا رسول الله ﷺ: "وكان يُحبُّ أن يسمع القرآنَ من غيره، وأمر عبد الله بن مسعود، فقرأ عليه وهو يسمع. وخَشَع ﷺ لسماع القرآن مِنه، حتى ذرفت عيناه. وكان يقرأ القرآن قائماً، وقاعداً، ومضطجعاً ومتوضئاً، ومُحْدِثاً، ولم يكن يمنعه من قِراءته إلا الجنابة"(٢).

٣- خطبة الجمعة: من المناسبات التي جاءت الشريعة بالاعتناء بها، والاستعداد والتهيؤ لها، والترغيب في اغتنام فضائلها، وترتيب الأجر العظيم على التبكير والتزيين لها، وفوات الفضل في التأخر عن حضورها أو اللغو فيها، والترهيب من التهاون بها وتركها لغير عذر، والتحذير من الانشغال عنها والأمر بترك الأعمال لأجلها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[الجمعة: ٩].

وقال ﷺ: (من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة، فاستمع وأنصت، غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام)(٣).

وورد عن النبي ﷺ أن دعا إلى الله بالقرآن من خلال خطبة الجمعة، فعن أم

فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه، رقم: (٣٢٣٠)، (١١٥/٤) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم: (٨٧١)، (٥٩٤/٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب الترجيع، رقم: (٥٠٤٧)، (١٩٥/٦).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤٨٢/١، ٤٨٣).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب فضل من استمع وأنصت في الخطب، رقم: (٨٥٧)، (٥٨٨/٢).

هشام بنت حارثة بن النعمان رضي الله عنها قالت: (لقد كان تنورنا وتنور رسول الله ﷺ واحداً، سنتين أو سنة وبعض سنة، وما أخذت: ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ [ق: ١] إلا عن لسان رسول الله ﷺ، يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر، إذا خطب الناس)[(١)]، وسبب اختياره ﷺ قراءة سورة (ق): "أنها مشتملة على الموت والبعث، والمواعظ الشديدة، والزواجر الأكيد"[(٢)].

فخطبة الجمعة من أهم وسائل الدعوة، وأفضل مواطن الوعظ والنصح، والأخرى بالخطباء أن يعودوا بخطبهم إلى الهدي النبوي، كما قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وأن يركزوا في مواضيعها على نصوص القرآن والسنة التي تتناسب مع المقام، وأن يضمنوها الوصية بتقوى الله، والموعظة الحسنة، وأن يعالجوا بها أمراض مجتمعاتهم بأسلوب واضح مختصر، وأن يكثروا فيها من قراءة القرآن العظيم الذي به حياة القلوب ونور البصائر.

٥- الصلاة: من المواطن التي يكون للقرآن حضور فيها الصلاة؛ فجاءت الشريعة آمرة بالقنوت والخشوع فيها، قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، والأمر بالقنوت لله عزّ وجلّ؛ وهو خشوع القلب الذي يظهر منه سكون الجوارح.

ومما يعين على الخشوع في الصلاة تدبر كلام الله عز وجل، ولقد كان لقراءة النبي ﷺ في الصلاة تأثير في نفوس المدعوين، فعن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه رضي الله عنه، قال: "سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ٣٦ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥ - ٣٧]، قال: كاد قلبي

(١) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم: (٨٧٣)، (٢/٥٩٥).
(٢) شرح السيوطي لسنن النسائي (٣/١٠٥).

أن يطير"(١).

قال الخطابي رحمه الله: "قلت: إنما كان انزعاجه عند سماع هذه الآية لحسن تلقيه معنى الآية، ومعرفته بما تضمنته من بليغ الحجة، فاستدركها، واستشف معناها بذكي فهمه، وهذه الآية مشكلة جدا"(٢).

والمتأمل في سنة النبي ﷺ يجده كان يخص بعض السور بالقراءة في صلوات معينة لمزية في تلك السور، ومن أمثلة ذلك:

صلاة فجر الجمعة: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: (كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ [السجدة: ١ - ٢] السجدة، و ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ [الإنسان: ١])(٣)، "والحكمة في هاتين السورتين الإشارة إلى ما فيهما من ذكر خلق آدم وأحوال يوم القيامة؛ لأن ذلك كان وسيقع يوم الجمعة"(٤).

وهذه القراءة المتكررة في كل فجر جمعة لم تكن خالية عن مقصد وغاية كان يرنو الرسول الكريم ﷺ إلى تحقيقها، لما في هاتين السورتين من التذكير بالمنشأ والمعاد، وبيان تنزيل القرآن وأثره، فعلى الداعية أن لا يتجافى عن التذكير بذلك.

صلاة العيدين والجمعة: عن النعمان بن بشير قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين، وفي الجمعة بـ ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى: ١]، و﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١]، قال: (وإذا اجتمع العيد والجمعة، في يوم واحد، يقرأ بهما

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، رقم: (٤٨٥٤)، (٦/١٤٠).
(٢) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) (٣/١٩١٢).
(٣) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة، رقم: (٨٩١)، (٢/٥)، صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في يوم الجمعة، رقم: (٨٧٩)، (٢/٥٩٩).
(٤) فتح الباري، ابن حجر (٢/٣٧٩).

أيضا في الصلاتين(١).

قال الصنعاني رحمه الله: "وفي سورة سبِّح والغاشية من التذكير بأحوال الآخرة والوعد والوعيد ما يناسب قراءتهما في تلك الصلاة الجامعة"(٢)، وقال المباركفوري رحمه الله: "ووجه الحكمة في القراءة في العيدين بهذه السور أن في سورة سبِّح الحث على الصلاة وزكاة الفطر"(٣).

إن خطبة الجمعة والعيدين لهما وظائف عظيمة، فعلى الداعية البصير أن يختار من الموضوعات الدعوية ما يحقق الهدف من تشريعهما، وأول شيء هو التبصير بالدين ورسالته وكتابه.

وعن ابن أبي رافع، قال: استخلف مروان أبا هريرة على المدينة، وخرج إلى مكة، فصلى لنا أبو هريرة الجمعة، فقرأ بعد سورة الجمعة، في الركعة الآخرة: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾[المنافقون: ١]، قال: فأدركت أبا هريرة حين انصرف، فقلت له: إنك قرأت بسورتين كان علي بن أبي طالب يقرأ بهما بالكوفة، فقال أبو هريرة: إني سمعت رسول الله ﷺ، يقرأ بهما يوم الجمعة)(٤).

قال النووي رحمه الله: "والحكمة في قراءة الجمعة اشتمالها على وجوب الجمعة، وغير ذلك من أحكامها، وغير ذلك مما فيها من الفوائد، والحث على التوكل والذكر وغير ذلك، وقراءة سورة المنافقين لتوبيخ حاضريها منهم، وتنبيههم على التوبة، وغير ذلك مما فيها من القواعد؛ لأنهم ما كانوا يجتمعون في مجلس أكثر من اجتماعهم فيها"(٥).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الجمعة، رقم: (٨٧٨)، (٥٩٨/٢).
(٢) سبل السلام (٤٠٨/١).
(٣) تحفة الأحوذي (٦٢/٣).
(٤) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الجمعة، رقم: (٨٧٧)، (٥٩٧/٢).
(٥) شرح النووي على مسلم (١٦٧/٦).

٦- اغتنام مواسم الحج: كان من حرص رسول الله ﷺ على دعوة الناس أنه كان يذهب إلى الناس في أماكن تجمعهم في الحج ﷺ يدعوهم إلى الله بالقرآن الكريم، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ يَعرِضُ نفسَه على الناسِ بالموقف، فقال ﷺ: (ألا رجل يَحْمِلُني إلى قومه، فإنَّ قُريشًا قد منعوني أن أُبَلِّغ كلام ربِّي؟)[١].

وهذا النص واضح وصريح في مهمته ﷺ، وهي الدعوة بالقرآن بدلالة قوله: (أن أبلغ كلام ربي)، فعلى الداعية اغتنام المواسم والأوقات الفاضلة في الدعوة والتبليغ أسوة به عليه السلام، وأن لا ييأس فإن أعرضت جماعة فسيهيئ الله أخرى.

٧- إرسال الرسل ومعهم القرآن لدعوة الناس: إن قراءة القرآن وسيلة من وسائل الدعوة في صدر الإسلام، فكان رسول الله ﷺ يلقى الناس في المواسم، فكان يدعوهم إلى الإسلام ويقرأ عليهم القرآن[٢].

وكان تأثير القرآن في نفوس سامعيه عظيماً، على نحو ما كان من موقف النفر الذين لقيهم رسول الله ﷺ في العقبة، وكانوا من الخزرج، فدعاهم إلى الله، عز وجل، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فأجابوه إلى ما دعاهم إليه، وصدّقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام[٣]، "فكان إسلامهم فتحاً عظيماً في تاريخ الدعوة"[٤].

وكان المشركون قد أحسّوا بتأثير قراءة القرآن واجتذابها النفوس إلى الدعوة

(١) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القرآن، رقم: (٤٧٤٣)، (٤/٢٣٤)، قال الألباني: "صحيح"، السلسلة الصحيحة: (٤/٥٩١).
(٢) محاضرات في علوم القرآن، غانم الحمد (ص: ٩٢).
(٣) ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام (١/٤٢٩).
(٤) محاضرات في علوم القرآن، غانم الحمد (ص: ٩٢).

الجديدة، فتنادوا بينهم: لا تسمعوا لهذا القرآن، كما حكى القرآن قولهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾[فصلت: ٢٦]، ولكن الله تعالى خيّب آمالهم، وأخذ القرآن طريقه إلى القلوب، وظلت قراءته تقوم بذلك الدور في نشر الدعوة بعد أن مكّن الله تعالى دينه، فكانت وفود العرب تأتي إلى المدينة، لاسيما بعد فتح مكة، فكان رسول الله ﷺ يقرأ عليهم القرآن، ويعلّمهم شرائع الإسلام(١).

وكان من حرص النبي ﷺ على تعليم القرآن أنه كان يرسل القراء إلى المواطن الجديدة للدعوة؛ فأرسل مصعب بن عمير وابن أم مكتوم رضي الله عنهما بعد بيعة العقبة الأولى إلى المدينة، (وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلّمهم الإسلام، ويفقّههم في الدين، فكان يسمى المقرئ بالمدينة مصعب)(٢)، عن البراء بن عازب قال: (أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم فجعلا يقرئاننا القرآن، ثم جاء عمار، وبلال، وسعد ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبي ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء، فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان، يقولون: هذا رسول الله ﷺ قد جاء فما جاء، حتى قرأت: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى: ١] في سور مثلها)(٣).

وكان رسول الله ﷺ يحث الصحابة رضي الله عنهم بتبليغ القرآن وتعليمه الناس، فمن ذلك، قوله: (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً)(٤)، قال ابن تيمية رحمه الله: "وكان مقصوده دعوة الخلق إلى طاعته واتباعه، وكان يقرأ القرآن على جميع الناس، ويأمر بتبليغه إلى

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (١/٣٠١).
(٢) السيرة النبوية، ابن هشام (١/٤٣٤).
(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة (سبح اسم ربك الأعلى)، رقم: (٤٩٤١)، (٦/١٦٨).
(٤) تقدم تخريجه في مقدمة البحث.

جميع الأمم"[١].

ويندرج تحت ما تقدم الدعوة بالمكاتبات والمراسلات كانت من أهم معالم دعوة النبي ﷺ، فقد أرسل عليه السلام عدداً من الرسل لملوك وأمراء عصره يدعوهم إلى الإسلام، فبعث رسول الله ﷺ بكتاب مع دحية بن خليفة الكلبي إلى عظيم بُصرى فدفعه إلى هرقل، فقرأه فإذا فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله، إلى هِرَقل عظيم الروم، سلام على مَن اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدِعاية الإسلام، أسلِمْ تَسلَم يؤتكَ الله أجرك مرتين، فإن تولَّيتَ، فإن عليك إثم الأريسيِّين، و ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤])[٢].

لقد كانت مهمة مَن يرسلهم النبي ﷺ هي الدعوة إلى الله وكانوا يتميزون برجاحة العقل، ورباطة الجأش، والصبر، والإخلاص لدعوتهم، وطلاقة اللسان، وحسن البيان، وقوة الحجة.

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/٣٧٤).
(٢) صحيح البخاري، بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ رقم: (٧)، (١/٨).

المبحث الرابع

نماذج تطبيقية من دعوة النبي ﷺ بالقرآن

زكى الله كتابه الكريم، وبين عظيم أثره في النفوس، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠ وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [الرعد: ٣٠ – ٣١]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

وكان رسول الله ﷺ يدعو إلى الله تعالى بالقرآن الكريم، ممتثلاً أمر ربه تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٢]. فيتلوه على مسامع المدعوين، ويحاجّ به المعاندين، والأمثلة على ذلك كثيرة:

أولاً: أمثلة تطبيقية ممن عرف الحق واستجاب وآمن:

ولا بد من التقديم لهذه الأمثلة بكلام أبي نعيم الأصبهاني في العقلاء والفصحاء وإيمانهم به، حيث قال: "ذكر أخذ القرآن ورؤية النبي ﷺ بالقلوب حتى دخل كثير من العقلاء في الإسلام في أول الملاقاة، إن الله عز وجل جلت عظمته أيد محمدا ﷺ بما لم يؤيد به أحدا من العالمين، وخصه من خصائصه بما يفوق حد كرامات الأنبياء ومراتب الأولياء، فكانت علامات النبوة على حسب منزلته ومحله عند الله

فليس من آية ولا علامة أبدع ولا أروع من آيات محمد ﷺ وهو القرآن المبين والذكر الحكيم والكتاب العزيز، لم يجعل له عوجا قيما أنزله عليه في أوان وزمان فيه الخلق الكثير والجم الغفير أولو الأحلام والنهى والأفهام، والألسن الحداد، والقرائح الجياد، والعقول السداد، أولو الحنك والتجاريب والدهاء، والمكر فلما سمعوا القرآن قدروا أن في وسعهم معارضته فقالوا: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[الأنفال: ٣١] فتحداهم ﷺ بالقرآن يقرع به أسماعهم مع ما لهم من الفصاحة واللسان والبلاغة والبيان أن يأتوا بسورة يخترعونها بأهون سعي وأدنى كلفة وأنى لهم ذلك، والله يقول: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] مع دعائه ﷺ إياهم أن يأتوا بسورة من مثله فلم يقدروا لأن كلام الله المنزل عليه هو كما أخبر الله عز وجل عنه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾[الطارق: ١٣، ١٤] وقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾[البروج: ٢١، ٢٢]"[(١)].

١- إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي: كان الطفيل يحدث أنه قدم مكة ورسول الله بها، فمشى إليه رجال قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً، فقالوا له: إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا؛ فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر؛ يفرق بين المرء وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وأنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمنه ولا تسمعن منه، قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً، ولا أكلمه حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله، قال: فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله قائم يصلي عند الكعبة، فقمت قريباً منه فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، فسمعت كلاماً حسناً فقلت

(١) دلائل البنوة، لأبي نعيم الأصبهاني، (ص٢٢٩، ٢٣٠).

في نفسي: واثكل أماه، والله إني لرجل لبيب شاعر، ما يخفي عليّ الحسن من القبيح، فما يمنعني من أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلت، وإن كان قبيحاً تركت، قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله إلى بيته، فتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا، فوالله ما برحوا يخوفوني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله عز وجل ألا أن يسمعنيه، فسمعت قولاً حسناً، فأعرض عليّ أمرك، قال: فعرض رسول الله عليّ الإسلام، وتلا عليّ القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، فأسلمت، وشهدت شهادة الحق"(١).

وفي هذه الرواية عن إسلام الطفيل بن عمرو دلالة واضحة على أن العاقل المنصف إذا ستمع داعي الله بقلبه وعقله فإنه يهديه إلى طريق مستقيم؛ لأنه ليس من جنس كلام البشر، بل هو كلام الله تعالى، ومن أصدق من الله قيلا، لقد أسلم الطفيل، ونطق الشهادتين، ووصف القرآن بعد أن تلاه عليه الرسول ﷺ، فقال مقسمًا بالله: إنه ما سمع قولًا قط أحسن منه، ولا أمرًا أعدل منه. والله لقد صدق في قوله ووصفه رضي الله عنه.

٢- إسلام الجن، قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣٢]، فـ"هذا تأييد للنبي ﷺ بأن سخر الله الجن للإيمان به وبالقرآن فكان رسول الله ﷺ مصدقا عند الثقلين ومعظما في العالمين وذلك ما لم يحصل لرسول قبله.

(١) دلائل البنوة، لأبي نعيم الأصبهاني، (ص٢٣٨)، دلائل النبوة، للبيهقي (٣٦١/٥).

والمقصود من نزول القرآن بخبر الجن توبيخ المشركين بأن الجن وهم من عالم آخر علموا القرآن وأيقنوا بأنه من عند الله والمشركون وهم من عالم الإنس ومن جنس الرسول ﷺ المبعوث بالقرآن وممن يتكلم بلغة القرآن لم يزالوا في ريب منه وتكذيب وإصرار، فهذا موعظة للمشركين بطريق المضادة لأحوالهم بعد أن جرت موعظتهم بحال مماثليهم في الكفر من جنسه"(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء. وأرسلت عليهم الشهب. فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم. قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب. قالوا: ما ذاك إلا من شيء حدث. فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها. فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها. فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة – وهو بنخل عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر – فلما سمعوا القرآن استمعوا له. وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم. فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا. فأنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١]"(٢).

لقد تلا رسول الله ﷺ القرآن على الجن الذين صرفهم الله إليه، فاستمعوا وأنصتوا وآمنوا، وكان إيمانهم راسخًا لا يتزحزح، حتى استحالوا من بعده دعاة إلى الله إلى قومهم، فقالوا: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ﴾، مما يدل على أن القرآن

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٦/٥٧).
(٢) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر، رقم: (٧٧٣)، (١/١٥٤)، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، رقم: (٤٤٩)، (١/٣٣١)، واللفظ لمسلم.

الكريم قد خالط بشاشة قلوبهم، وأخذ بمجامع أفئدتهم.

ثانياً: أمثلة تطبيقية ممن عرف الحق وجحده:

١- جحود الوليد بن المغيرة: عن ابن عباس رضي الله عنه أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه، فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا. قال: لم؟ قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمدا لتعرض ما قبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر فيه، فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يؤثر يأثره عن غيره، فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ [المدثر: ١١ - ١٣]"(١).

وفي هذا التطبيق قرأ رسول الله ﷺ القرآن على الوليد بن المغيرة، ودعاه به، فكان قد رق لسماعه لولا دخول أبي جهل، وقد صدرت من الوليد كلمات لطيفة في وصف أثر القرآن وسمو بلاغته وفصاحته.

٢- قصة عتبة بن ربيعة: وعن جابر بن عبد الله قال: "اجتمعت قريش يوما فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا

(١) المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، تفسير سورة المدثر، (٢/٥٥٠)، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه"، وقال الذهبي على شرط البخاري، دلائل النبوة للبيهقي، جماع أبواب المبعث، باب اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله تعالى من الإعجاز وأنه لا يشبه شيئا من لغاتهم مع كونهم من أهل اللغة وأرباب اللسان، (٢/١٩٩)، صحيح السيرة النبوية، للألباني (ص: ١٥٨ - ١٥٩).

وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه؟ فقالوا: ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة. فقالوا: أنت يا أبا الوليد فأتاه عتبة فقال: يا محمد أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله ﷺ، فقال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ، ثم قال: إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك فرقت جماعتنا وشتت أمرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرا وأن في قريش كاهنا والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى. أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً واحداً، وإن كان إنما بك الباءة، فاختر أي نساء قريش شئت، فلنزوجك عشرا. فقال رسول الله ﷺ: (فرغت؟). قال: نعم. فقال رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ إلى أن بلغ: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١-١٣]، فقال عتبة: حسبك ما عندك غير هذا؟ قال: لا، فرجع إلى قريش فقالوا: ما وراءك؟ قال: ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمونه إلا كلمته، قالوا: فهل أجابك؟ فقال: نعم. ثم قال: لا والذي نصبها بينة ما فهمت شيئا مما قال، غير أنه: ﴿أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾، قالوا: ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال؟ قال: لا والله ما فهمت شيئاً مما قال، غير ذكر الصاعقة"(١).

وهكذا كان رسول الله يتلو عليهم القرآن الكريم، فقرأ ثلاث عشرة آية من سورة فصلت، ما يقارب صفحة وثلث الثانية، مما يؤكد منهجه في الدعوة بالقرآن أن عتبة

(١) المنتخب من مسند عبد بن حميد، من مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، (١٨٨/٢)، وصحح الألباني في: صحيح السيرة النبوية، للألباني (ص: ١٦٠).

ضاق بالقرآن فقال للنبي ﷺ: (حسبك ما معك غيره)، لأنه قد قرع سمعه بالوعيد والتهديد في قوله: ﴿أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾، وأقام الحجة الدامغة عليهم، فاعترفوا في قرارة أنفسهم بالحق، وإن أظهروا المخالفة عناداً، وحسداً، وبغياً، وجحوداً.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، بعد هذا التأمل والتدبر في مضامين نصوص آيات الذكر الحكيم والسنة النبوية، يمكن للباحث الخروج بالنتائج التوصيات الآتية:

أولا: نتائج البحث:

١- الدعوة بتلاوة القرآن وترتيله منهج قرآني نبوي أصيل؛ دلت عليه نصوص الكتاب الكريم والسنة الفعلية للنبي صلى الله عليه وسلم.

٢- في الممارسة النبوية والتطبيق العملي للدعوة بالقرآن زاد للدعاة إلى الله تعالى ينبغي ألا يغفلوا عنه في دعوتهم.

٣- اشتمل المنهج النبوي في الدعوة بالقرآن على أساليب ووسائل متنوعة ومتجددة صالحة للتطبيق على مر العصور.

٤- من معالم منهج النبي ﷺ في الدعوة الإسرار والإعلان بالدعوة بحسب ما تقتضيه مصلحة الدعوة – البدء بالتوحيد قبل كل شيء – البدء بدعوة الأقربين – التدرج في الدعوة – ملازمة تلاوة القرآن والتخلق بأخلاقه وتدبره – الحرص على المدعوين – ترتيب الأولويات الدعوية.

٥- من أصناف المدعوين الذين دعاهم النبي ﷺ: المشركون، أهل الكتاب (اليهود النصارى)، عصاة المؤمنين، المنافقون.

٦- للمشركين مواقف متعددة من دعوة النبي ﷺ القرآن: الإعراض، والتهاون، القول بأنه سحر، وشعر، وأساطير الأولين، وأنه مفترى.

٧- من مواقف أهل الكتاب من الدعوة بالقرآن التشكيك فيه وفي مصدره، ادعاء

الإيمان بالتوراة والكفر بغيرها، ومعاداة جبريل عليه السلام

٨- من مواقف المنافقين من الدعوة بالقرآن: الاستهزاء به، الدعوة إلى التحاكم إلى الطاغوت، الزيادة في الكفر.

٩- من أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، الترغيب والترغيب، ولفت النظر في الآيات الكونية.

١٠- تنوع المدعوين الذين كان يدعوهم النبي ﷺ بالقرآن الكريم في مكة والمدينة.

ثانياً: التوصيات:

١- دراسة أساليب الدعوة عند أولي العزم من الرسل.

٢- دراسة الخطاب الموجه للنبي ﷺ في القرآن الكريم، واستخراج الفقه الدعوي منه.

٣- دراسة شبهات المشركين حول القرآن ومنهجه في الرد عليها.

المصادر والمراجع

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢. الاستيعاب في أسماء الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٣. الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله، خالد الخياط، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٤١٢هـ.

٤. أصول الدعوة في ضوء الكتاب والسنة، بدير محمد بدير، دار نور الإسلام، ط٢، ١٤١٩هـ.

٥. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.

٦. أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: محمد بن سعد آل سعود، مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ.

٧. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي الحميري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٨. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٩. بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي، دار الفكر، بيروت.

١٠. البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

١١. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

١٢. تحفة الأحوذي، عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ.

١٤. تفسير القرآن الكريم (سورة الشعراء)، محمد بن صالح العثيمين، الناشر: مؤسسة محمد بن صالح العثيمين الخيرية، السعودية، ط١، ١٤٣٦هـ.

١٥. تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، بمصر.

١٦. التفسير الواضح، محمود حجازي، دار الجيل الجديد، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

١٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٩. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ.

٢٠. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد عبد الحليم بن تيمية، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.

٢١. دلائل النبوة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٢. دلائل النبوة، أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٢٣. رسالة في الدعوة إلى الله، محمد صالح العثيمين، مركز شؤون الدعوة بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٧هـ.

٢٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الألوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

٢٥. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب، المعروف بابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢٧، ١٤١٥هـ.

٢٦. سبل السلام شرح بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني، دار الحديث، القاهرة.

٢٧. السلسلة الصحيحة وشيء من فقهها، محمد ناصر الألباني، مكتبة المعارف، الرياض.

٢٨. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

٢٩. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا.

٣٠. سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣١. سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٣٢. السير والمغازي، محمد بن إسحاق المطلبي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ.

٣٣. السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٣٤. شرح السيوطي لسنن النسائي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ

٣٥. شرح النووي على صحيح مسلم، يحي بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٣٦. شرح صحيح البخاري، علي بن خلف بن عبد الملك، ابن بطال، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ.

٣٧. شرح مصابيح السنة، محمد بن عز الدين الكرماني المشهور بابن المَلَك، تحقيق ودراسة لجنة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، الناشر إدارة الثقافة الإسلامية، ط١، ٢٠١٢هـ.

٣٨. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣٩. صحيح السيرة النبوية، محمد ناصر الدين لألباني، المكتبة الإسلامية، عمَّان، ط١.

٤٠. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤١. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الزهري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٠٨هـ.

٤٢. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت.

٤٤. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت.

٤٥. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، دار الفضيلة، الرياض.

٤٦. كتاب السبعة، أحمد بن مجاهد البغدادي، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٧٠م.

٤٧. لسان العرب، محمد بن مكرم، ابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٤٨. مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد محمد بن باديس، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

٤٩. مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ.

٥٠. محاضرات في علوم القرآن، غانم قدورى الحمد، دار عمار، عمَّان، ط١، ١٤٢٣هـ.

٥١. محمد رسول الله ﷺ، محمد الصادق عرجون، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٥م.

٥٢. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٥٣. مسند أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بالاشتراك، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٤. مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.

٥٥. المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٥٦. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣هـ.

٥٧. مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث، عبد الفتاح محمد العيسوي، بالاشتراك، دار الراتب الجامعية، الإسكندرية، الطبعة الرابعة، ١٩٩٧م.

٥٨. منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، حمود بن أحمد الرحيلي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط١، المدينة المنورة، ٢٠٠٤م.

٥٩. المنتخب من مسند عبد بن حميد، عبد بن حميد بن نصر، دار بلنسية، ط٢، ١٤٢٣هـ.

٦٠. منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة من خلال السيرة الصحيحة، محمد أمحزون، دار السلام، القاهرة، ط٥، ١٤٣١هـ.

٦١. النبوات، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز الطويان، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٦٢. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، دار القلم – الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

References

1. ershad al'eql alslym ela mzaya alktab alkrym, abw als'ewd mhmd bn mhmd al'emady, dar ehya' altrath al'erby, byrwt.
2. alasty'eab fy asma' alashab, abw 'emr ywsf bn 'ebd allh bn 'ebd albr alnmry, thqyq: 'ely mhmd albjawy, dar aljyl, byrwt, t1, 1412h.
3. alaslwb altrbwy lld'ewh ela allh, khald alkhyat, dar almjtm'e llnshr waltwzy'e, jdh, t1, 1412h.
4. aswl ald'ewh fy dw' alktab walsnh, bdyr mhmd bdyr, dar nwr aleslam, t2, 1419h.
5. adwa' albyan fy eydah alqran balqran, mhmd alamyn alshnqyty, dar alfkr, byrwt, 1415h .
6. a'elam alhdyth (shrh shyh albkhary), abw slyman hmd bn mhmd alkhtaby, thqyq: mhmd bn s'ed al s'ewd, mrkz albhwth al'elmyh wehya' altrath aleslamy, jam'eh am alqra, 1409h.
7. alaktfa' bma tdmnh mn mghazy rswl allh ﷺ walthlathh alkhlfa', slyman bn mwsa bn salm alkla'ey alhmyry, dar alktb al'elmyh, byrwt, t1, 1420h.
8. anwar altnzyl wasrar altawyl, 'ebd allh bn 'emr albydawy, dar ehya' altrath al'erby, byrwt, t1, 1418h.

9. bhr al'elwm, abw allyth nsr bn mhmd alsmrqndy, thqyq: mhmwd mtrjy, dar alfkr, byrwt.
10. albdayh walnhayh, esma'eyl bn 'emr bn kthyr aldmshqy, thqyq: 'ely shyry, dar ehya' altrath al'erby, byrwt, t1, 1408h.
11. althryr waltnwyr, mhmd altahr bn 'eashwrh, aldar altwnsyh llnshr, twns, 1984m.
12. thfh alahwdy, 'ebd alrhmn bn 'ebd alrhym almbarkfwry, dar alktb al'elmyh, byrwt.
13. tfsyr alqran al'ezym, esma'eyl bn 'emr bn kthyr aldmshqy, thqyq: samy slamh, dar tybh, t2, 1420h.
14. tfsyr alqran alkrym (swrh alsh'era'), mhmd bn salh al'ethymyn, alnashr: m'essh mhmd bn salh al'ethymyn alkhyryh, als'ewdyh, t1, 1436h.
15. tfsyr almraghy, ahmd mstfa almraghy, shrkh mktbh wmtb'eh mstfa albaby alhlby, bmsr.
16. altfsyr alwadh, mhmwd hjazy, dar aljyl aljdyd, byrwt, t1, 1413h.
17. tysyr alkrym alrhmn fy tfsyr klam almnan, 'ebd alrhmn bn nasr als'edy, thqyq: 'ebd alrhmn allwyhq, m'essh alrsalh, byrwt, t1, 1420h.
18. jam'e albyan 'en tawyl ay alqran, mhmd bn jryr altbry, thqyq: ahmd shakr, m'essh alrsalh, byrwt, t1, 1420h.
19. aljam'e lahkam alqran, abw 'ebd allh mhmd bn ahmd

alqrtby, thqyq: smyr albkhary, dar 'ealm alktb, alryad, 1423h.

20. aljwab alshyh lmn bdl dyn almsyh, ahmd 'ebd alhlym bn tymyh, dar al'easmh, alryad, t1, 1414h.
21. dla'el alnbwh, abw n'eym ahmd bn 'ebd allh bn ahmd bn eshaq alasbhany, thqyq: rwas ql'eh jy, 'ebd albr 'ebas, dar alnfa'es, byrwt, t2, 1406h - 1986m.
22. dla'el alnbwh, ahmd bn alhsyn albyhqy, wthq aswlh wkhrj ahadythh w'elq 'elyh: 'ebd alm'ety ql'ejy, dar alktb al'elmyh, byrwt, t1, 1408h.
23. rsalh fy ald'ewh ela allh, mhmd salh al'ethymyn, mrkz sh'ewn ald'ewh baljam'eh aleslamyh, almdynh almnwrh, t1, 1407h.
24. rwh alm'eany fy tfsyr alqran al'ezym walsb'e almthany, mhmwd bn 'ebd allh alalwsy, thqyq: 'ely 'ebd albary 'etyh, dar alktb al'elmyh, byrwt, 1415h.
25. zad alm'ead fy hdy khyr al'ebad, mhmd bn aby bkr bn aywb, alm'erwf babn qym aljwzyh, m'essh alrsalh - byrwt, t27, 1415h.
26. sbl alslam shrh blwgh almram, mhmd bn esma'eyl alsn'eany, dar alhdyth, alqahrh.
27. alslslh alshyhh wshy' mn fqhha, mhmd nasr alalbany, mktbh alm'earf, alryad.

28. snn abn majh, mhmd bn yzyd alqzwyny, thqyq: mhmd f'ead 'ebd albaqy, dar ehya' alktb al'erbyh - fysl 'eysa albaby alhlby.
29. snn aby dawd, abw dawd slyman bn alash'eth alsjstany, thqyq: mhmd mhyy aldyn 'ebd alhmyd, almktbh al'esryh, syda.
30. snn altrmdy, abw 'eysa mhmd bn 'eysa altrmdy, thqyq: ahmd shakr, dar ehya' altrath al'erby, byrwt.
31. snn alnsa'ey, ahmd bn sh'eyb alnsa'ey, mktb almtbw'eat aleslamyh, hlb, t2, 1406h.
32. alsyr walmghazy, mhmd bn eshaq almtlby, thqyq: shyl zkar, dar alfkr, byrwt, t1, 1398h.
33. alsyrh alnbwyh, 'ebd almlk bn hsham bn aywb alhmyry alm'eafry, thqyq: th 'ebd alr'ewf s'ed, dar aljyl, byrwt, t1, 1411h.
34. shrh alsywty lsnn alnsa'ey, jlal aldyn 'ebd alrhmn alsywty, mktb almtbw'eat aleslamyh, hlb, t2, 1406h
35. shrh alnwwy 'ela shyh mslm, yhya bn shrf alnwwy, dar ehya' altrath al'erby, byrwt, t2, 1392h.
36. shrh shyh albkhary, 'ely bn khlf bn 'ebd almlk, abn btal, thqyq: abw tmym yasr bn ebrahym, mktbh alrshd - als'ewdyh, alryad, t2, 1423h.
37. shrh msabyh alsnh, mhmd bn 'ez aldyn alkrmany almshhwr

babn almĺk, thqyq wdrash ljnh mn almhqqyn beshraf: nwr aldyn talb, alnashr edarh althqafh aleslamyh, t1, 2012h.

38. shyh albkhary, mhmd bn esma'eyl albkhary, thqyq: mhmd alnasr, dar twq alnjah, t1, 1422h.
39. shyh alsyrh alnbwyh, mhmd nasr aldyn lalbany, almktbh aleslamyh, 'emán, t1.
40. shyh mslm, mslm bn alhjaj alqshyry, thqyq: mhmd f'ead 'ebd albaqy, dar ehya' altrath al'erby, byrwt.
41. altbqat alkbra, mhmd bn s'ed bn mny'e alzhry, thqyq: zyad mhmd mnswr, mktbh al'elwm walhkm, almdynh almnwrh, t2, 1408h.
42. 'emdh alqary shrh shyh albkhary, mhmwd bn ahmd bn mwsa bn ahmd, bdr aldyn al'eyny, dar ehya' altrath al'erby, byrwt.
43. fth albary shrh shyh albkhary, ahmd bn 'ely bn hjr al'esqlany, dar alm'erfh, byrwt.
44. fth alqdyr, mhmd bn 'ely bn mhmd alshwkany, dar alfkr, byrwt.
45. alfrqan byn awlya' alrhmn wawlya' alshytan, ahmd bn 'ebd alhlym abn tymyh, thqyq: 'ebd alrhmn bn 'ebd alkrym alyhya, dar alfdylh, alryad.
46. ktab alsb'eh, ahmd bn mjahd albghdady, thqyq: shwqy dyf, dar alm'earf, alqahrh, t1, 1970m.

47. lsan al'erb, mhmd bn mkrm, abn mnzwr alefryqy, dar sadr, byrwt, t3, 1414h.
48. mjals altdkyr mn klam alhkym alkhbyr, 'ebd alhmyd mhmd bn badys, 'elq 'elyh wkhrj ayath wahadythh: ahmd shms aldyn, dar alktb al'elmyh byrwt, t1, 1416h.
49. mjmw'e alftawa, ahmd bn 'ebd alhlym abn tymyh, thqyq: 'ebd alrhmn bn mhmd bn qasm, mjm'e almlk fhd ltba'eh almshf alshryf, almdynh alnbwyh, 1416h .
50. mhadrat fy 'elwm alqran, ghanm qdwra alhmd, dar 'emar, 'emَan, t1, 1423h.
51. mhmd rswl allh ﷺ, mhmd alsadq 'erjwn, dar alqlm, dmshq, t2, 1995m.
52. almstdrk 'ela alshyhyn, abw 'ebd allh mhmd bn 'ebd allh alhakm alnysabwry, dar alktb al'elmyh, byrwt, t1, 1411h - 1991m.
53. msnd ahmd, ahmd bn mhmd bn hnbl alshybany, thqyq: sh'eyb alarna'ewt, balashtrak, m'essh alrsalh, byrwt.
54. mshkah almsabyh, mhmd bn 'ebd allh alkhtyb altbryzy, thqyq: mhmd nasr aldyn alalbany, almktb aleslamy, byrwt, t3, 1985m.
55. almfrdat fy ghryb alqran, alhsyn bn mhmd, alm'erwf balraghb alasfhany, thqyq: sfwan 'ednan dawwdy, dar

alqlm, aldar alshamyh - dmshq byrwt, t1, 1412h.

56. mqayys allghh, ahmd bn fars bn zkrya alqzwyny, thqyq: 'ebd alslam mhmd harwn, alnashr: athad alktab al'erb, 1423h.
57. mnahj albhth al'elmy fy alfkr aleslamy walfkr alhdyth, 'ebd alftah mhmd al'eyswy, balashtrak, dar alratb aljam'eyh, alesskndryh, altb'eh alrab'eh, 1997m .
58. mnhj alqran alkrym fy d'ewh almshrkyn ela aleslam, hmwd bn ahmd alrhyly, alnashr: 'emadh albhth al'elmy baljam'eh aleslamyh, t1, almdynh almnwrh, 2004m.
59. almntkhb mn msnd 'ebd bn hmyd, 'ebd bn hmyd bn nsr, thqyq: mstfa al'edwy, dar blnsyh, t2, 1423h .
60. mnhj alnby ﷺ fy hmayh ald'ewh mn khlal alsyrh alshyhh, mhmd amhzwn, dar alslam, alqahrh, t5, 1431h .
61. alnbwat, ahmd bn 'ebd alhlym abn tymyh, thqyq: 'ebd al'ezyz altwyan, adwa' alslf, alryad, altb'eh alawla, 1420h.
62. alwjyz fy tfsyr alktab al'ezyz, abw alhsn 'ely bn ahmd alwahdy, thqyq: sfwan dawwdy, dar alqlm - aldar alshamyh - dmshq, byrwt, t1, 1415h.